

الفصل الثالث

النظام التعليمي في النظرية القرآنية

دور العقل في عملية التحصيل * نظرية التعليم في القرآن * (المدرسة) في النظام الاجتماعي * التعليم والعدالة الاجتماعية في القرآن * فلسفة (التعليم) في النظريات الغربية ونقدها*

دور العقل في عملية التحصيل

يمجد الاسلام العقل لا باعتباره أداة لاستيعاب المعلومات وحزنها ثم استرجاعها وتحليلها فحسب ، بل يعتبره أهم أداة لمعرفة الخالق عز وجل ؛ ولولاه لأصبح الانسان حيواناً بهيمياً آخر لا يعي من واقعه الاجتماعي شيئاً ولا يهتم بأمر مثل اهتمامه بغرائزه الحيوانية.

ولكن العقل البشري بدل المعادلة الحيوانية وقلبها لصالح الانسان ، فأصبح هذا الكائن الكريم بحكم عقله مكلفاً بالمسؤوليات الشرعية ومحاسباً عليها . ولعل اشد الآيات القرآنية وقعاً وأوجعها على الجهلاء من الناس، قوله تعالى : (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)¹ . فأصبح العقل الحجة التي يحتج بها الله على المكلف يوم القيامة (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون)².

ولما كان العقل هو البنية التحتية للتفكير الانساني ، أصبح العلم البناء الفوقي الذي يساهم بشكل فعال في تقوية سلطات العقل وقوته المنطقية والتحليلية . فالحقيقة العلمية اليقينية ، يعتبرها الفقهاء شيئاً قطعياً ، والتنكر لها تنكر للعقل نفسه . وأعظم دليل على ذلك ان أكثر الناس خشية لله سبحانه العلماء العارفون بأسرار الكون والحياة والخلق ؛ لأن الجاهل بأسرار الكون والخلق جاهل بعظمة الخالق . والسر في ذلك ان العلم بطبيعة المخلوقات يستوجب علماً بطبيعة الخالق ، وقد جاء في النص المجيد ما يشير الى ذلك : (انما يخشى الله من عباده العلماء)³ .

ولكي يدرك العقل ويستوعب المعارف والمعلومات التي ينتفع بها ، فلا بد للفرد من الاجتهاد في تنمية قوة ادراك ذلك الجهاز العظيم لمفاهيم الخير والشر ، والتمييز بينهما عن طريق علوم الطبيعة والدين والاخلاق وما يتعلق بهما من معارف وغايات . فحينما يحاول العقل انشاء العلوم النافعة للانسان في حياته العملية ، فانه يستخدم طاقته الجبارة لانشاء نظرية معاشية تدله على تعلم العلوم التطبيقية كي تدر عليه شتى أنواع المنافع ، وتيسر له سبل العيش الانساني الكريم ، كعلوم الزراعة والصناعة والطب والهندسة والفضاء . ولاشك ان ترجمة الافكار التي ينشئها العقل ويحاول تطويرها وتنميتها لا بد ان تتم عن طريق خاص يشترك في فهمه وممارسته جميع الافراد في النظام الاجتماعي ، الا وهو النطق.

¹ سورة الانفال: الآية 22.

² سورة الحجر: الآية 92-93.

³ سورة فاطر: الآية 28.

فيمتيز تحصيل العقل وترجمة الافكار التي يحملها بالنطق ؛ فالانسان كيان ناطق ، وهذا النطق الذي يمثل رمز التفاهم بين الناس يميز هذا الكائن المفكر عن غيره من العجاوات . وبطبيعة الحال ، فان علوم اللغة وما يتفرع عنها من معارف وحقول ، تمثل قابلية العقل على ترجمة الافكار الخافية الى رموز مسموعة تستفيد منها الانسانية في تعاملها الاجتماعي جيلاً بعد جيل .

ولاشك ان استعداد النفس لتحصيل النظريات والفرضيات ، يساهم في تطوير العلوم التي تخدم مصلحة الانسان . فلو أراد العالم التجريبي وضع نظرية تتناول حركة الالكترونات في الذرة مثلاً ، فما عليه الا ان يفترض افتراضاً نظرياً يتناول فيه حركة تلك الشحنات ، ويفصلها تفصيلاً نظرياً ، ثم يقوم بعد ذلك بتجارب خاصة لإثبات صحة فرضيته ؛ فاذا تم له ذلك بالتجربة والخطأ تطورت فرضيته القائمة على مجرد الظن الى نظرية قائمة على اساس ثبوت الحقائق . وهذا الاستعداد النفسي في انشاء الافتراض وتحصيل النظرية يرفع العلم التجريبي من المستوى النظري الى مستوى عالٍ من الدقة التجريبية والمهارة والاتقان.

والمحصل استفراً أن الانسان العاقل المدرك يحتاج في حياته العملية الى أربعة اصناف من العلوم حتى يستطيع ان يكون عضواً نافعاً فعالاً في النظام الاجتماعي ؛ الاول : علوم اللغة وما يتعلق بها من معارف ، لانها تعتبر عنصراً اساسياً من عناصر حفظ الاجتماع الانساني وتنميته ؛ فعن طريقها يتم التفاهم والاتصال بين الافراد في النظام الاجتماعي . الثاني : علوم الدين والاحلاق وما يتعلق بهما من معارف ؛ وهذا الصنف اساسي في استقرار النظام الاجتماعي ونشر العدالة الاجتماعية بين الافراد . الثالث : العلوم النظرية ، وهي النظريات والفرضيات التي يحتاجها الانسان كقاعدة يبني عليها بناءه العلوي في العلوم التجريبية . الرابع : العلوم التطبيقية ، وهي ثمرة العلوم الطبيعية التي يعتصر الفرد بواسطتها كل ما يتمكن اعتصاره من خيرات الارض ، وبشكل يمكنه من توفير وتيسير سبل العيش لكل افراد المجتمع الانساني.

وقد أكدت النصوص الشرعية على حاجة الانسان الى تلك العلوم والى ضرورة تعلمها ، من أجل المصلحة الاجتماعية . فعلى مستوى الصنف الاول ، ورد قوله تعالى : (انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)⁴ . وفي رواية عن الامام جعفر بن محمد (ع) انه قال : (تعلموا العربية فانها كلام الله الذي يكلم به خلقه)⁵ . وعلى مستوى الصنف الثاني ، ورد في وصية الامام أمير المؤمنين لابنه الحسن (عليهما السلام) : (وان أبدأك بتعليم

⁴ سورة الزحرف: الآية 3.

⁵ بحار الانوار ج 1 ص 212.

كتاب الله عز وجل وتأويله ، وشرائع الاسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه لا اجاوز ذلك بك الى غيره⁶ ، ولعله اشارة الى قوله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين)⁷ .وعلى مستوى الصنف الثالث ورد قول الامام علي (ع) ايضاً : (لا علم كالتفكير....)⁸ ، الذي هو اشارة واضحة لقوله تعالى : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض)⁹ .وعلى مستوى الصنف الرابع ورد عن الامام جعفر الصادق (ع) ما يدعو الى التعليم المهني : (فكل ما يتعلم العباد أو يعلمون غيرهم مثل صنوف الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة ... فحلل فعله وتعليمه والعمل به ¹⁰ . ولعل في الآية الشريفة : (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون)¹¹ ، تلميح الى العمل المهني الذي يقره الارتكاز العقلائي . والمستفاد من هذه النصوص الشرعية المساندة والمؤيدة ، بأن الاصل في العلوم الاجتماعية والتجريبية والدينية هو بناء النظام الاجتماعي وبناء الفرد بشكل يجعله مرتبطاً بالخالق سبحانه اولاً ، وقادراً على تأدية التكليف الشرعية ثانياً ، وقادراً على اشباع حاجاته الاساسية ثالثاً.

وربما يستفاد من مقتضى نص قوله تعالى في خطاب النبي (ص): (وقل ربي زدني علماً)¹² زيادة على ما قيل بأمر الله النبي (ص) بعدم التعجيل بقراءة القرآن وقت نزول الوحي ، ان الاسلام لم يقيد العلم بعلوم الدين بل اطلق عبارة العلم لتشمل كل العلوم التي تنفع الانسان في حياته العملية والدينية ؛ ومنها علوم الطب والتمريض والهندسة والفيزياء والكيمياء والفلك والتربة والجغرافية والتربية التي تساهم جميعاً في تيسير حياة الانسان لظهور النص القرآني اولاً ، وللنصوص الشرعية الاخرى التي تعضد هذا الرأي ، ثانياً .

⁶ البحار ج 1 ص 19 .

⁷ سورة التوبة: الآية 122 .

⁸ البحار ج 1 ص 179 .

⁹ سورة آل عمران: الآية 191 .

¹⁰ تحف العقول ص 249 .

¹¹ سورة يس: الآية 35 .

¹² سورة طه: الآية 114 .

نظرية التعليم في القرآن

وتتلخص هذه النظرية بفكرتين ؛ وهما : (القراءة) ، و (التسخير) . فقد اختصر الاسلام نظريته في التعليم بأول كلمة وحي من الباري عز وجل نزلت على قلب الرسول العظيم محمد (ص) ، وهي كلمة : (اقرأ ...) . ومع ان هذه الجملة في الآية الكريمة تفيد خصوص القراءة للرسول (ص) الا ان مقتضاها أوسع من ذلك . فتوجيه صيغة الامر بالقراءة سيساعد المكلفين حتماً على فهم الاحكام الشرعية وتطبيقها ، ويساعدهم أيضاً على قراءة القرآن والتفكر في آياته العظيمة ، وعلى تنشيط عقولهم لتطوير الحياة الانسانية في مختلف مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية . وفي المشهور: (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد)، وقوله (ع): (ايها الناس اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به ، وان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال) ¹³ ، دلالة على ان طلب العلم والتفقه يشمل المسلمين عموماً ولا يختص بفتة دون اخرى . فكمال الدين اذن — حسب الرواية — والسمو في فهم الاحكام الشرعية وعللها ، لا يتم الا عن طريق طلب العلم والاجتهاد في تحصيله . وبذلك ، فان الاسلام وضع العلم على سلم الحاجات البشرية التي ينبغي اشباعها .

وليس هناك أدنى شك من ان الاعمال التي يقوم بها الفرد في حياته العملية تحتاج الى كمية من العلوم، تقدرها المصلحة الاجتماعية . فالطب وتخطيط المدن وجمع الحطب مثلاً تحتاج الى علوم تناول تلك الاختصاصات . فعلم التشريح والعقاقير والكيمياء يطور علم الطب ، ودراسة القياسات ومعرفة علم المساحة وتربة الأرض ومواد البناء تساعد في علم تخطيط المدن ، ودراسة الاشجار واخشائها وطريقة قطعها واسلوب نقلها يساعد الأفراد المهتمين بعملية جمع الحطب واستخدامه في عملية توليد الطاقة . وفي كل تلك الأمثلة يكون العلم الاختصاصي هو المحور والمدار في تطوير المهنة التي يقوم بها العامل المختص . وبطبيعة الحال ، فان الاختصاص ليس القطب الوحيد الذي عرضه الاسلام ضمن اهتمامه بالعلوم التطبيقية ، بل طرح فكرة التسخير أيضاً ، باعتبارها منهجاً عملياً للتفاعل الاجتماعي : (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) ¹⁴ . وهي اشارة — كما ذكرنا سابقاً — الى ان النظام الاجتماعي لا يجيا الا عن طريق تسخير جهود الافراد الشخصية لخدمة بعضهم البعض في شتى المجالات الحياتية الضرورية للبقاء البشري على الأرض ، حيث تقوم العلوم التخصصية في عملية التسخير بدور العامل المساعد في تطوير تلك العملية وتسهيلها خدمة للنظام الاجتماعي العام وافراده. ولم تتوقف فكرة التسخير على الاعمال اليدوية والاعمال

¹³ الكافي ج 1 ص 35.

¹⁴ سورة الزخرف: الآية 32.

القائمة على الجهد الانساني العضلي ، بل تعدت الى الجهد العلمي والفكري الذي يقوم به الانسان . ومن ذلك ، الجهد العلمي الذي يؤدي الى الاجتهاد في علوم الدين ، وبالخصوص الفقه والاصول . وعملية الاجتهاد هذه ، تعتبر جزءاً من نظرية التسخير ، فاجتهاد المجتهد وعلمه ينبغي ان يسخر كلياً لخدمة الامة ، بالتوافق مع حاجتها ، وبالتناسب مع طموحاتها في انشاء نظام اجتماعي سياسي ديني متكامل . ولكن الحركة الاجتهادية في الفقه والاصول قاست في العصور الاسلامية الاولى انعزلاً سياسياً أدى الى تحديد الهدف الاجتماعي من التعليم . فبدلاً من تعميم مفهوم التعليم وجعله حقاً لكل فرد ، سعت السلطات السياسية الحاكمة الى الحفاظ على مستوى من الجهل والتخلف الفكري السائد بين الافراد آنذاك ، لأن السلطات كانت تشعر ان نشر العلم بين افراد الامة سيؤدي الى هز الكيان السياسي الظالم وتقويض أركانه . وكان من نتائج هذا الانعزال تقلص النظرة الاجتماعية للفقه الاسلامي ، وظهور الاتجاه الفقهي الذي يهتم بشؤون الفرد أكثر من اهتمامه بشؤون الامة . وانصب اهتمام الفقهاء بالحث على تحصيل العلوم الدينية المتمثلة بالفقه والاصول وعلوم الحديث واللغة والمنطق بالقلة المختارة من الافراد ، بينما أهمل تعليم الافراد عموماً ؛ بل ان الامة الاسلامية باتت على قسمين ، القسم الاول والأكبر سماهم الفقهاء بـ (العوام من الناس) وهم الذين لا يجيدون القراءة ، والثاني : وهم الطلبة والعلماء . وهذه التسمية في حد ذاتها تعطي انطباعاً ظاهرياً بان العلم في الاسلام انما وجد للخاصة فحسب ، وبقية الناس ينطبق عليهم اصطلاح العوام . وكأن التكليف الشرعي لا يحث المكلف على طلب العلم والتحصيل ! ولانشك ان اللوم في هذا الفكر المتخلف يقع كلياً على السلطات السياسية المنحرفة التي حكمت الامة الاسلامية قروناً عديدة ، فسلبت من أيدي الفقهاء العدول كل أدوات السلطة التنفيذية ، وأرادت للامة الاسلامية — بجميع أفرادها — التخلف عن ركب العلم والحضارة ، حتى يتم لتلك الفئة المنحرفة السيطرة على مقدرات النظام الاجتماعي بشكل تام . ولا يحمل اصطلاح الفقهاء هذا غير معنى الاختصاص ، فسمي الفقهاء (علماء) لا اختصاصهم بعلمي الفقه والاصول ، وسمي غيرهم (عواماً) لجهلهم بعلمي الفقه والاصول . ويكفي ، لفهم موقف الاسلام من العلم وضرورة التعليم الجماعي للمسلمين ، ان نتذكر ما حصل في معركة بدر المظفرة من أمر الرسول (ص) باطلاق سراح أسرى المشركين ، شرط ان يعلم الاسير الواحد منهم عشرة مسلمين القراءة والكتابة .

ولاريب ان التأكيد على التعليم الجماعي كان قد ورد في أحاديث أهل البيت (ع) في القرن الاول الهجري . فالامام علي بن الحسين (ع) في رسالته الحقوقية يدعو بصراحة الى منح الافراد حق التعليم ، ويعلق هذا الحق بواجبات السلطة السياسية التي من مسؤوليتها بناء النظام الاجتماعي ، ويقول (ع): (واما حق رعيتك بالعلم

، فان تعلم ان الله قد جعلك لهم فيها آتاك من العلم وولاك من خزانة الحكمة ... فان أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله)¹⁵.

ولكن تحديد المسار التعليمي الذي تنتهجه الدولة لا بد وان يكون مرتبطاً بخطة عامة ، يضعها متخصصون بشؤون التعليم ، تستهدف رفع المستوى الثقافي للامة الاسلامية . وهذا لا يتم الا بتصميم نظام تعليمي مبني على منهج علمي يساند الدولة الاسلامية في كل توجهاتها الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية . فينبغي ان يكون من نتائج هذا التصميم انشاء نظام مدرسي عام يتعلم افراد النظام الاجتماعي من خلاله ، كل الفنون المتعلقة بالحياة الاجتماعية ؛ على ان يكون هذا النظام المدرسي قاعدة للانطلاق في شتى المجالات الحياتية المفترض ان يكون للمعلم فيها دور بناء وأرجو ان لا يختلط اصطلاح (المدرسة العامة ونظامها) المستخدم في هذا البحث ، بالمدارس الدينية حسب النظام المعمول به في الحوزات العلمية . بل المقصود من المدرسة العامة ، المؤسسة العلمية التي نشأت مع ظهور الدولة الحديثة وتولت تعليم الصغار اللغة والعقيدة والفقه والعلوم التجريبية حتى مرحلة البلوغ . والصغار هم كل أفراد النظام الاجتماعي دون سن البلوغ الذين يعيشون في تلك البقعة من الأرض ، ويطلق عليهم وعلى من سواهم اسم المجتمع الانساني.

المدرسة في النظام الاجتماعي

ولما كان ايمان الاسلام بحق الفرد في التعليم ايماناً راسخاً ، نابعاً من مقتضى قوله تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)¹⁶ ، فإن تدخل الدولة في المجتمع الاسلامي بضرورة فرض التعليم الاجباري لحد المرحلة المتوسطة يجب ان يكون امراً ارتكازياً وشرعياً ، للأسباب الثلاثة التالية: اولاً: لأن الفرد يعتبر قاصراً في سن الطفولة ؛ فعلى وليه الاهتمام بمصلحته العلمية. ثانياً : لما كان ولي أمر الامة (الامام المعصوم أو نائبه الفقيه الجامع للشرائط في زمن الغيبة) مسؤولاً عن بناء الدولة الاسلامية بناءً محكماً في المجال الاقتصادي والسياسي والعسكري، وجب عليه تهيئة مقدمات بناء الدولة من خلال بناء الافراد علمياً وثقافياً قبل البلوغ، ثالثاً: ان العلم بكل فروع وألوانه يقرب المكلف من الله عز وجل، ويجعله أكثر تطبيقاً للاحكام الشرعية وأكثر فهماً لدور الدين في النظام الاجتماعي.

¹⁵ الخصال ج 2 ص 567.

¹⁶ سورة الزمر: الآية 9.

وبطبيعة الحال ، فان التمييز بين الافراد في النظام التعليمي الاسلامي يجب ان يحى اصلاً ؛ لأن ديناً كالاسلام يحاول تثبيت أسس العدالة الاجتماعية بقوة القانون ، لايمكن ابداً ان يحرم الافراد من حقوقهم المشروعة . فالتعليم حق مشروع لكل فرد ، والمساواة في تحصيله أصل من اصول العدالة الاجتماعية ، بل ان المساواة العامة التي أمر بها الاسلام في امتلاك الثروة واستثمارها في شتى مجالات الحياة العملية ، تعتبر دعماً حقيقياً للمساواة في نظام التعليم العام.

ولاشك ان المدرسة في المجتمع الاسلامي تساهم في تطوير النظام الاجتماعي ، من خلال نقل المعرفة الاسلامية والانسانية الى اذهان الطلبة من الجيل القديم الى الجيل الجديد ، ونشر الفكر الذي يوحد توجهات المجتمع ، وتطوير شخصيات هؤلاء التلاميذ الذين سيحملون مشعل المسؤولية مستقبلاً ، وتأهيلهم لتحمل التكليف الشرعي ، وتمرينهم على الاعمال التخصصية ، وتعليمهم قواعد النظام الاجتماعي التي تربط الاسرة وأفرادها بالمسجد والمدرسة والحكومة وساحة العمل المهني.

فعلى نطاق نقل المعرفة ، فان عملية التعليم لا بد لها من الاستمرار عبر الاجيال المتعاقبة ، وهذا هو الذي يميز المجتمعات الانسانية عن غيرها من التجمعات الحيوانية . ففي كل حقبة زمنية تتراكم كمية هائلة من المعلومات الاجتماعية والتجريبية ، لا بد وان تنقلها أيادي الجيل القديم الى نظائهم من الجيل الجديد . وهذا الانتقال لا يساهم في بقاء الحياة الانسانية في تطور مستمر فحسب ، بل يساهم في بقاء القيم الاخلاقية حية في الضمائر مهما طال زمن انتشارها . ولا يمكن نقل هذه المعارف والافكار الانسانية الا عن طريق المدرسة والنظام التعليمي المعترف به اجتماعياً.

ولما كانت أرض الاسلام ساحة منسجمة تجمع الاقليات العرقية المتعددة ، اصبح للمدرسة دوراً أعظم في توحيد توجهات أفراد المجتمع وتهذيب تطلعاتهم وآمالهم في حياة اسلامية رغيدة.

فلا بد ان تدرس اللغة العربية الفصحى ومعارفها — باعتبارها لغة القرآن — لجميع أفراد الامة ، وكل ما يدرس في المدرسة العامة في النظام الاسلامي من علوم وتاريخ ودين يساهم في توحيد الدولة من الناحية الثقافية والسياسية والاجتماعية ؛ لأن عملية انصهار هذه العلوم في أذهان التلاميذ ستخلق منهم افراداً يملكون كل المؤهلات العلمية لبناء دولة علمية ، موحدة ، متطورة ، قائمة على أساس نظام اخلاقي وديني عظيم.

ولاشك ان دور المدرسة العامة في المجتمع الاسلامي لا يتوقف عند معرفة اللغة وفهم العلوم التي تتعلق بها ، بل ان دورها يتعدى الى فهم دور الانسان في الحياة الاجتماعية ، وفهم علاقته بالكون والخالق ، وفهم الانسان لذاته من خلال العلوم الفلسفية والتطبيقية . ولا بد لهذه المدرسة من فتح أبواب النقاش العلمي والنقد البناء ، فالرد على النظريات الفاسدة والآراء المنحرفة يوفر للطلبة فرصاً ثمينة لممارسة النقد البناء المستند على الاسس العلمية . بل ان المدرسة تستطيع ان تهيب لطلابها جواً من العمل السياسي والاجتماعي ، حتى تؤهلهم لاحقاً لدخول المعترك الاجتماعي دون عراقيل .

ولا بد لنا من معرفة حقيقة مهمة وهي ان المدرسة بكل تخصصاتها وفروعها العلمية والانسانية والمهنية ، انما هي ضمان لمستقبل الاسلام ، ونجاح التجربة الاسلامية في تكامل النظام الاجتماعي لقيادة البشرية المعذبة وايصالها الى شاطئ السلام . ولاشك ان المدارس والجامعات الاسلامية ينبغي لها ان تساهم مساهمة فعالة في حل المشاكل العلمية والاجتماعية والاقتصادية التي يبتلي بها النظام الاجتماعي . فما فائدة المدرسة التي لاتساهم في التفاعل الاجتماعي ولا تفهم مشاكل الافراد ولا تحاول حلها ؟ ألم تكن الدراسات النظرية باباً من أبواب الدراسات التطبيقية وفرعاً من فروعها ؟ فما فائدة دراسة تركيب الذرة ما لم تترجم هذه الدراسة الى تصنيع مواد كيميائية تنفعنا في التطبيب والتسميد والتنظيف ؟ وما فائدة دراسة الظواهر الاجتماعية والانحرافات ما لم يوضع منهج واضح المعالم لترشيد توجهات المجتمع الاسلامي وطموحاته وآلامه ومشاعره ؟

وإذا كانت النظرية السياسية الرأسمالية قد نجحت في فصل المدرسة عن الكنيسة في المناهج التعليمية ، وتركت للكنيسة تنصير الافراد وتعليمهم دينهم¹⁷ ، فان النظام التعليمي الاسلامي ينبغي ان يؤسس في كل مدرسة مسجداً للصلاة ، وينبغي ان تندمج المدرسة بالمسجد اندماجاً حقيقياً يؤدي الى تهذيب المدرسة اخلاقياً ، والى رفق المسجد بالطاقات العلمية الشابة المؤهلة لا للعبادة والدعاء والتسييح فحسب ، بل على أتم الاستعداد للدفاع عن الدين والوطن ، وحماية العقيدة بالعلم والسلاح .

¹⁷ جون كودلاند - مكان يسمى المدرسة: ابعاد مستقبلية. نيويورك: ماكروهيل، 1984م.

التعليم والعدالة الاجتماعية في القرآن

ولاشك ان اطلاق معاني العدالة الاجتماعية والقضائية في القرآن كقوله تعالى : (اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله)¹⁸ ، (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا)¹⁹ ، (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى)²⁰ ، (ان الله يأمر بالعدل والاحسان)²¹ ، يعكس شمولها لجميع المؤسسات الاجتماعية التي تهتم بشؤون الفرد ، لانها لم تقيد أو تخصص بمورد معين.

وتنعكس العدالة الاجتماعية التي نادى بها الاسلام وحث على تحقيقها بين جميع الافراد ، على النظام التعليمي بالخصوص . فبموجب الارتكاز العقلاني الذي امضاه الشارع ، لا بد للافراد القادرين من الناحية العقلية على التعلم وقطع اشواط المراحل الدراسية ، من المستوى الابتدائي وحتى المستوى التخصصي المهني أو العلمي . وفي المرحلة الاخيرة يلعب الجهد والذكاء دوراً أساسياً في مساعدة الافراد على حجز مقاعدهم الدراسية في الجامعات العلمية والأدبية والمعاهد الفنية . فالطلبة المتفوقون في العلوم البيولوجية والكيميائية يدخلون كليات الطب والعلوم المتعلقة بها . والطلبة المتفوقون في الرياضيات والعلوم الهندسية يدخلون كليات الهندسة والعلوم المتعلقة بها . والمتفوقون في الاجتماعيات يدخلون كليات العلوم الاجتماعية ، وهكذا . وهذا المقياس في حجز مقاعد الجامعات ، أعدل من مقياس الأنظمة الغربية التي تشترط العامل الطبقي ولون البشرة اساساً في دخول الجامعات العريقة كجامعات اكسفورد وكامبردج وهارفرد وييل وبرنستون²² . فالنظام التعليمي الاسلامي يشجع الطالب الفقير على شق طريقه بنجاح الى أرقى الجامعات في الدولة بغض النظر عن لونه وطبقته الاجتماعية . بل يستطيع ان يتميز عن أقرانه الاغنياء ، لأن الفقر لايشغله عن التحصيل ، وهو على اطمئنان بأن عائلته المسحوقة سوف يعيّلها النظام الاجتماعي أو الدولة عن طريق الحقوق الشرعية . فلا يصرفه الفقر — عندئذٍ — عن الدرس ، ولا تجبره حاجة العائلة الاساسية على ترك التحصيل . واذا ما ظهرت بوادر انحلال النظام الطبقي خلال مراحل التعليم ، أصبحت فرص انتعاش النظام الاجتماعي أوسع ؛ وأصبح

18 سورة المائدة: الآية 8.

19 سورة النساء: الآية 135.

20 سورة الانعام: الآية 152.

21 سورة النحل: الآية 90.

22 جون ليولين وآخرون — الذكاء واختلاف الاعراق. سان فرانسيسكو: فريمان، 1975م.

المقياس في تسيير شؤون النظام الاجتماعي و الجهد والكفاءة والذكاء . ولا يختلف اثنان على ان الذكاء قدرة علمية تحصيلية تتواجد عند الفقراء كما تتواجد عند الاغنياء.

ومع ان الاسلام يقدم نظاماً عادلاً في توفير الفرص التعليمية لكل القادرين على التحصيل ، الا انه لا ينكر وجود التفاوت في قابليات الفهم والادراك والابداع لدى الافراد . فالافراد عموماً متفاوتون في مستوى فهمهم العلمي وابداعهم ونتاجهم . ولما كانت هذه القابليات متفاوتة ، فان المكافأة على الجهد المبذول يجب ان تتفاوت حتماً من فرد الى آخر . ولكن هذا التفاوت في الاجور ينبغي ان لا يخلق طبقات اجتماعية متفاوتة ، بل طبقة واحدة مختلفة الدرجات . وهذا النظام التعليمي الرائع يضمن قضيتين اساسيتين ؛ الاولى : تنشيط فرص الابداع لكل فرد ، والثانية : العدالة الاجتماعية لكل الافراد . فلا يستطيع الذكي مهما أوتي من قوة عقلية ان ينشئ طبقة متميزة به عن الآخرين ، تماماً كما لا يستطيع الثري مهما أوتي من قوة مالية انشاء طبقة متميزة به وبأقرانه ، لأن ذلك يدعو الى الظلم الذي يرفضه الاسلام.

ولم يدع الاسلام الى جعل التعليم مطية رغبات طبقة دون اخرى لتحقيق التسلط على القوة السياسية ، وكسب الثروة ، وتحقيق الرفعة الاجتماعية ؛ بل اراد من التعليم فهم الانسان موقعه في الحياة الاجتماعية ، ومعرفة دور الدين في بناء النظام الاجتماعي لتحقيق سعادة الفرد وتثبيت أسس العدالة الاجتماعية . ولما كان العلم شريفاً في نفسه ، فان الشارع حث جميع الافراد على تحصيل المقدار المتميز منه ، كي يمنح الانسان فسحة للتفكير في موقعه الاجتماعي الحياتي وموقعه في الكون ، وما يترتب على ذلك من معارف ربانية توصله الى معرفة خالقه وصانعه العظيم ، وتحتة على تعلم الفنون والخبرات بشتى الوانها بما ينفع النظام الاجتماعي وافراده . ولاشك ان نظاماً تعليمياً كهذا لا يمنح امتيازاً لفرد دون آخر ؛ لأن عدالة نظام الاجور في الاسلام هي صمام الامان الذي يمنع بموجبه نشوء نظام طبقي مشابه للنظام الطبقي الرأسمالي . ولما كانت الدولة في المجتمع الاسلامي مسؤولة عن رعاية الافراد وحمائيتهم والاهتمام بهم ، فان لها الحق في تحديد الاجور وتعيين الحد الأدنى والحد الاعلى للمكافآت الاجتماعية : على عكس الفكرة الغربية الرأسمالية التي تعين حداً أدنى للاجور ولكنها لا تضع علامة للحد الاعلى²³ ، مما يفسح المجال لنمو الطبقة الرأسمالية الظالمة المتحكمة بشؤون المجتمع والسلطة السياسية واستفحالها.

²³ كريستوفر جنكز وآخرون - من الذي يسيق؟ العوامل الحاسمة في النجاح الاقتصادي. نيويورك: الكتب الاساسية، 1979م.

والخلاصة ، ان الاسلام لايقر نظام تكافؤ الفرص فحسب ، بل يهيئ الافراد هئية شاملة للمنافسة العلمية القائمة على اساس الجهد والذكاء . فيزيل اولاً كل اسباب التعويق الاجتماعي لطلب العلم من فقر وعدم اشباع الحاجات الاساسية ، فيأخذ حقوق الفقراء ويرجعها اليهم ، ويلغي النظام الطبقي العائلي ، ويشبع حاجات الافراد جميعاً ويوفر لهم مستوى واحداً من التعليم الابتدائي والثانوي لا يختلف فيه الفقير عن الغني . ثم يضع هؤلاء المتسابقين في ميدان العلم على خط البداية ، ويهتف بهم : تسابقوا على بذل الجهد ، فان سبق أحدكم الآخر فانما يفوز بجهد وقابلياته . والاسلام بهذا النظام الرائع لا يثبت عدالته الاجتماعية بين الافراد فحسب ، بل يبرز نظامه المنسجم مع طبيعة الحياة الانسانية التي خلقها الباري عز وجل ، ويربطها بالنظام التكويني المبني على اساس الدقة والتنظيم والعدل . ولاريب ان هذا النظام العادل يقف موقفاً معارضاً للنظام الرأسمالي الذي يزوج بالمتسابقين في ميدان العلم غاضاً نظره عن المعوقات الاجتماعية التي وضعها للبعض منذ البداية ، كتراكم الثروة لدى طبقة وحرمان الطبقات الاخرى ، وتسليح الاغنياء بأفضل النظام العلمية وحرمان الفقراء منها ، وحصر الجامعات الراقية بالنخبة من أفراد الطبقة الرأسمالية من خلال رسم مستقبل مشرق لهم وهم في مهد الطفولة²⁴ .

ويتبين لنا من كل ذلك ان النظام الاسلامي في التعليم — بلحاظ الاطار الاخلاقي للكتاب المجيد وروايات اهل البيت (ع) — هو من أعدل الانظمة التعليمية في العالم .

فلسفة التعليم في النظريات الغربية ونقدها

وتتناول (النظرية التوفيقية) أهم الأركان التي تبني عليها (المدرسة) في النظام التعليمي . فهذه النظرية تؤمن بأن المدرسة والنظام التعليمي المشرف عليها تحفظ روحية النظام الاجتماعي الحضارية من خلال نقل معتقدات الآباء الى ابنائهم ، ونشر الثقافة العامة التي توحد توجهات المجتمع ، وتطوير شخصيات الافراد ، وتأهيلهم للعمل التخصصي ، واثراء الثقافة الاجتماعية ، وتعلمي الافراد اطاعة السلطة السياسية²⁵ .

²⁴ راندال كولنيز — المجتمع الاعتمادي: لحة تاريخية عن علم اجتماع التعليم وانعدام العدالة الاجتماعية. نيويورك: المطبعة الاكاديمية، 1979م.

²⁵ الكسندر آستن — الوصول الى الامتياز التعليمي. سان فرانسيسكو: بوسي باس، 1985م.

فعلى صعيد نقل معتقدات الآباء الى ابنائهم ، فان هذه النظرية تؤمن بأن المجتمع لا يمكن ان يحيا حياة اجتماعية طبيعية دون ان تنتقل الثقافة والمعرفة من الجيل السابق الى الجيل اللاحق . فالمدرسة تغذي افراد المجتمع بشتى أنواع العلوم والمهارات والقيم ، التي يعتبرها النظام الاجتماعي من الأولويات الاساسية لبقائه ووجوده الحضاري . فتعلم لغة الوطن التي يتفاهم بها الفرد مع اقرانه ، وجغرافية الدولة التي يعيش فيها ، وتركيبها السكانية والعرقية تعتبر من أهم مكاسب النظام التعليمي ؛ حيث تنعكس فوائدها على النظام الاجتماعي كلباً . وربما يعتبر الدفاع عن الدولة والنظام السياسي من أهم ثمار شجرة التعليم .

وعلى صعيد نشر الثقافة العامة التي توحد توجهات المجتمع الفكرية، فان المجتمعات الانسانية على الاغلب، تتركب من أقليات عرقية ودينية متعددة تسكن ارضاً واحدة . فلإمكان توحيد توجهات هذه الأقليات ما لم يتم صهرها تحت سقف نظام تعليمي واحد يستخدم لغة واحدة.

وعلى صعيد تطوير شخصية الفرد ، فان المدرسة تمنح الافراد فرصة تعلم المهارات المهنية التي تؤهلهم للاشتغال والاكساب في مستقبل حياتهم ، حيث تساهم هذه المدرسة في منح الافراد فرصة استخدام ما منحهم الخالق عز وجل من نعمة التفكير وطاقة كامنة للإبداع والتطوير. ولكن المدرسة لا تضمن تخرج افراد مثقفين بل انها تسعى لتفتيح عقولهم اليافعة كما يساهم نسيب الربيع في تفتيح براعم الازهار ... وذلك من خلال مساهمتها في تعريف الفرد بنفسه وبالعالم المحيط به.

وعلى صعيد تأهيل الافراد للعمل التخصصي ، تساهم المدرسة في ضمان مستقبل الفرد المهني ورفد النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بالمتخصصين في مختلف الحقول التي تحتاجها ، فتضبط المدارس المتخصصة — كالطب والتمريض والهندسة والكيمياء ونحوها — عدد الطلبة الذين يحتاجهم المجتمع حتى لا يحصل الاضطراب الفني بتراكم الطلبة على اختصاص دون غيره.

وعلى صعيد اثراء الثقافة الاجتماعية والعلمية ، فان المؤسسات التعليمية تساهم بشكل اساسي في زيادة المعرفة البشرية حول الحياة والكون والانسان؛ وتساعد الطالب على فهم تاريخه الانساني وحضارته ومجتمعه؛ وتفتح باباً للنقاش العلمي والنقد البناء ؛ وتعطي الاساتذة والباحثين فرصاً واسعة لانجاز مختلف البحوث العلمية في شتى المعارف البشرية . وتعتبر الجامعات أعمدة البحوث العلمية النظرية التي تساهم في وضع الفرضيات والنظريات واقامة البراهين والادلة على صحة أو فساد فرضيات أو نظريات اخرى أنشأها علماء طبيعيون

آخرون . ولما كانت الفكرة الرأسمالية تؤمن بتطوير منتوجاتها الصناعية بشكل مستمر حتى تجد اسواقاً دائمية لاستهلاكها ، أصبحت الجامعات التجريبية الغربية العقل الرئيسي للمؤسسات الصناعية الرأسمالية العملاقة²⁶ .

وعلى صعيد حقن الافراد بأفكار تمجد بأهمية النظام والسلطة السياسية ، فان المؤسسات التعليمية تساهم بشكل فعال في ترسيخ فكرة النظام الاجتماعي وضرورة احترامه ، وأهمية السلطة السياسية واحترام القانون ، ووجوب الامثال امام المحاكمة القضائية اذا طلب ذلك . وبالجملة ، فان المدرسة تنشئ اعتقاداً لدى الفرد بأن النظام السياسي انما صمم اساساً لخدمة افراد المجتمع جميعاً ؛ فلهم الحقوق التي أقرها القانون وعليهم الواجبات التي كلفهم بها النظام الاجتماعي.

ولاشك ان النظرية التوفيقية تطرح بديهيات النظرية التعليمية دون ان تتطرق الى دور الطبقات الاجتماعية المتصارعة في استخدام النظام التعليمي كمطية لتيسير عملية مسك زمام السلطة ، وكسب الثروة ، وتحقيق الرفعة الاجتماعية . بمعنى ان النظرية التوفيقية تتجاهل الحقائق التي تدين النظام التعليمي في الدولة الرأسمالية ، خصوصاً فيما يتعلق بطبيعة التعليم وتصميم المناهج الدراسية . وتمضي هذه النظرية ، ممارسات النظام التعليمي الامريكى في القرنين الماضيين بخصوص حرمان الزوج والهنود الحمر من حق التعليم²⁷ ؛ وهو تناقض واضح في مبنيات تلك النظرية ، لأن التعليمى المبني على الاساس الطبقي والتمييزي لا يوحد المجتمع على الصعيدين الثقافي والتاريخي ، كما تزعم تلك النظرية.

وقد تولت نظرية الصراع الاجتماعي نقد هذه النظرية التوفيقية وكشف افلاسها الفكري ، فقالت بأن التعليم عنصر مهم في وضع الفرد الطبقي ، لأن الفرد المتعلم يستطيع ان يحتل موقعاً أعلى في السلم الاجتماعي من خلال وظيفته التي تحتاج الى كمية معينة من العلوم والاختصاصات²⁸ . فالطبيب والمهندس مثلاً ، يحتلان موقعاً اجتماعياً أرفع من ذلك الذي يحتله العامل غير الماهر.

ولاشك ان الآباء الاغنياء من الطبقة العليا ينظرون الى مستقبل ابنائهم نظرة خاصة تضمن لهم الوصول الى الطبقة المسيطرة . ولذلك ، فانهم يمهّدون لهم طرقاً خاصة لتحقيق احلامهم . ففي النظام التعليمي البريطاني مثلاً ، يدخل ابناء الطبقة الرأسمالية المدارس الخاصة المعدودة المسماة بمدارس (القواعد النحوية)، التي تضمن

²⁶ هربرت هيمان وآخرون- التأثيرات الثابتة للتعليم. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1975م.

²⁷ ريجنالد كلارك - الحياة العائلية والتحصيل المدرسي. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1983م.

²⁸ كارل ماركس - المخطوطات الاقتصادية والسياسية لعام 1844م. نيويورك: الناشران الدوليون، 1964م.

لخريجيها مستقبلاً سياسياً مشرقاً وعضوية دائمة في الطبقة الثرية. وفي روسيا، يدخل أبناء الوزراء واعضاء الحزب الشيوعي المسيطرين على النظام السياسي لفترة قريبة ، مدارس خاصة بابناء الطبقة العليا. وفي امريكا تتلون المدارس التعليمية بلون الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها الفرد.

وتتهم نظرية الصراع ، الطبقة الرأسمالية بتكريس النظام التعليمي الطبقي للحفاظ على مصالحها الحيوية في السيطرة على مقدرات النظام الاجتماعي ، وتقدم دليلاً على ذلك ، وهو ان الطبقة الرأسمالية تحصل دائماً على أعلى مستويات التعليم ، لأن الآباء يصرفون جزءاً كبيراً من أموالهم على وسائل التعليم الخاصة بالطبقة الغنية ، وان الابناء متفرغون للدرس والتحصيل . وهكذا يمتص النظام الاجتماعي ابناء الطبقة الفقيرة كعمال ، بينما يستوعب ابناء الطبقة الرأسمالية كأفراد يحظون بأهمية عظيمة في السلم الاجتماعي.

واخيراً ، فان النظام التعليمي في المجتمع الرأسمالي لا يحافظ على الوضع الطبقي فحسب ، بل يجعل الطبقة مسألة شرعية ؛ لأن النظرية الرأسمالية ترى ان من حق الطبقة العليا السيطرة على النظام الاجتماعي لأنها تملك الثروة ووسائل الانتاج الاقتصادي . واذا ما نجحت المؤسسة التعليمية في اقناع الفقراء بأن حقوق الطبقة الرأسمالية في الثراء وما يترتب عليها انما هي حقوق عادلة — لأن امولهم قد جاءت عن طريق الجهد وعرق الجبين ، وان الفرص متاحة لكل من أراد الثراء — نجح الرأسماليون — عندئذٍ — في السيطرة على مقدرات النظام الاجتماعي بكل مافيه من خيرات ، والى أمد غير محدود.

ولكن نظرية الصراع الاجتماعي لا يتم الا بانشاء صراع جديد آخر مع الطبقة الرأسمالية . وتقع في خطأ آخر عندما تتصور انما تستطيع — مطلقاً — توحيد الاحور والمكافآت الاجتماعية للدوار التي يقوم بها الافراد في النظام الاجتماعي . وامام اخطاء هذه النظريات يقدم القرآن الكريم رسالته الدينية بأروع صورها ، وهي رسالة العدالة الاجتماعية القائمة على اصليين ، الاول : اصالة الاخوة الاسلامية بين جميع افراد النظام الاجتماعي : (انما المؤمنون إخوة...) ²⁹. والثاني: اعادة توزيع الثروة الاجتماعية عن طريق فرض الضرائب الشرعية على اموال الافراد : (...وفي اموالهم حق للسائل والمحروم) ³⁰. وتنضوي تحت راية العدالة الاجتماعية القرآنية العدالة التعليمية التي هي جزء لا يتجزأ من جوهر الفكرة الدينية. ولاشك ان رسالة القرآن اصلح

²⁹ سورة الحجرات: الآية 10.

³⁰ سورة الذاريات: الآية 19.

للإنسانية والنظام الاجتماعي من رسالة النظرية التوفيقية التي تركز للظلم الرأسمالي ، واصلاح من رسالة نظرية الصراع التي تسلب فكرة الاخوة والتآخي من مباني النظام الاجتماعي للإنسانية المعذبة .

الفصل الرابع

النظام الصحي في القرآن

اهمية النظام الصحي * النظرية الطبية في القرآن : 1 - النظام الوقائي 2 - النظام الغذائي 3 - النظام العلاجي * النظام الصحي في الاسلام * العلاقة بين الطبيب والمريض * اهل الخبرة الطبية * فلسفة (الطب) في النظريات الغربية ونقدها .

أهمية النظام الصحي

لاشك اننا نستطيع ان نجعل محور النظام الطبي في الاسلام مستنداً الى اطلاق الآية القرآنية الكريمة التي تتحدث عن حرمة قتل النفس الانسانية البريئة ، وتجعل افناء الفرد الواحد معادلاً لافناء البشرية جمعاء ، ثم تقول بعد ذلك : (ومن احيائها فكأئماً احيا الناس جميعاً)³¹. وهذه الآية وان لم تشتمل على حكم تكليفي، الا انها لا تخلو من تشديد في القضايا الاعتبارية والارتكازية . وعلى ضوءها سنتحدث عن اهمية النظام الصحي في الاسلام.

فلما كان المرض مشكلة انسانية تصيب الفرد وتؤثر على طبيعة المجتمع الانتاجية ، فان النظام الاجتماعي ملزم بايجاد نظام صحي متكامل يحافظ من خلاله على صحة الافراد ، ويعالجهم معالجة تؤدي بهم الى الشفاء الكامل ، ومن ثم ارجاعهم مرة اخرى الى عجلة الانتاج والخدمات الاجتماعية . واذا لم يؤد العلاج الموصوف من قبل المؤسسة الرسمية الى شفاء الفرد شفاءً كاملاً ، فان النظام الصحي ملزم باعلان عجز الفرد عن احتلال دوره الطبيعي في المجتمع ، مشيراً الى ضرورة تحمل النظام الاجتماعي مسؤوليته في دفع تعويض مالي يحفظ كرامة الفرد العاجز ويسد حاجته وحاجة عائلته الاساسية .

ويقصد بالنظام الصحي هنا ، بالاضافة الى الطبيب ، المؤسسة التي تضم ادواراً مهنية واجتماعية للعديد من المتخصصين والخبراء ، كالأطباء المتخصصين بالجراحة والباطنية والتخدير ، والصيدلة ، ومدراء المستشفيات وعماها ، وشركات التأمين الصحية ، ومصانع الادوية والعقاقير ، وكليات الطب ، ومعاهد التمريض .

ومع ان المرض قضية شخصية تمهم الفرد فحسب ، فهو وحده الذي يتألم ، الا ان الواقع يفصح بان المرض مسألة اجتماعية ؛ لانه لا يمكننا ان نتصور فصل الصحة والمرض والعلاج عن الصورة الاجتماعية الكلية.

فانتشار الامراض يهز الكيان السياسي ، ويؤثر على النظام الاجتماعي من خلال تعطيل طاقات الافراد في العمل والاستثمار والانتاج . ويساهم المرض في تقويض النظام الاجتماعي كما تساهم الظواهر الطبيعية والمادية في هدم ما بناه الانسان . فالزلازل المدمر ، والجفاف المؤدي الى المجاعة ، والحرب المؤدية الى خراب شامل تقوض النظام الاجتماعي كما يقوضه انتشار الامراض . وهذه الامراض التي يحتاج في معالجتها الى تدخل المؤسسة الصحية ، تقسم الى نوعين ؛ الاول : الامراض الحادة ، وهي التي تحتاج الى فترة علاجية

³¹ سورة المائدة: الآية 32.

قصيرة نسبياً تؤدي بالانسان اما الى الشفاء واما الى الموت مثل مرض الحصبة . والثاني : الامراض المزمنة ، وهي التي يحتاج العلاج فيها الى فترة طويلة ، ولكن ليس هناك ضمان بشفاء المريض شفاءً كاملاً ، امثال مرض السكري والتهاب المفاصل.

ويتعدى تأثير المرض الى عائلة المريض ومحبيه . فمع ان المريض يمر بتجربة مريرة من الالام والقلق والانزعاج خلال فترة مرضه، الا ان عائلته تعاني ايضاً من حالته الاستثنائية. فقلق العائلة على معيها، وخوفها من فقدان المورد المعاشي يساهم في اضطراب الوضع العائلي ، ويجعله مرتبطاً بصورة وثيقة بصحة المعيل. وعلى صعيد آخر ، فان انتشار الامراض ، يساهم ايضاً في اضطراب النظام الاجتماعي وإضعاف قواه الانتاجية ؛ خصوصاً اذا ما انتشرت الامراض المعدية في المجتمع انتشاراً واسعاً كالملازيا والجدرى والكوليرا ، فانها تنزل ضربة ساحقة بالمؤسسة الاقتصادية والانتاجية للدولة . وهذا يفسر لنا تجاهل الحكومات الاستعمارية في معالجة الامراض والأوبئة الفتاكة في البلدان المستعمرة معالجة جدية ؛ لان هذه الامراض تفتح ابواباً لتدمير طاقة المجتمع الانتاجية واستهلاك مصادره وخيراته . واذ ضعف المجتمع على الصعيد الانتاجي تكاثر المستكبرون على اقتسام خيراته ونهبها . وقد سعت بريطانيا عند احتلالها الهند في القرن التاسع عشر الى استخدام عملية نشر الامراض كسلاح ضد العدو ، مستفيدةً من تجربتها التاريخية في واقعتين ؛ الاولى : في القرن الرابع عشر ، والثانية : في بداية القرن العشرين الميلادي ؛ حيث اكتسح الطاعون اوروبا في القرن الرابع عشر وسمي في وقته بالموت الاسود لإفناؤه اكثر من ثلث سكان تلك القارة وتدميره البنية الاقتصادية والسياسية والدينية لدول القرون الوسطى الاوروبية . وفي سنة 1918 م قتلت الانفلونزا الاوروبية اكثر من عشرين مليون فرد³².

وفي حين يعرض الاسلام نظريته الصحية في اطار متكامل كما سنرى بعد قليل ، فان نظاماً كنظام الكنيسة النصرانية تبني لاكثر من الف سنة النظرية الاغريقية في الطب³³ ؛ حيث تزعم هذه النظرية ان سوائل الجسم الانساني — التي تتكون من اربعة انواع هي الدم والبلغم والمرارة الصفراء والسوداء — هي سبب نشوء الامراض . فاذا نقص مستوى احد هذه السوائل الاربعة واحتل توازنها ، نشأ المرض . ولم تسمح الكنيسة النصرانية الاوروبية في القرون الوسطى تطوير البحوث العلمية الطبية ، بل انكرت على المكتشفين من علماء الطبيعة والطب اكتشافاتهم بحجة ان الانسان الذي لن يتحقق له الخلود في الحياة الدنيوية لا يحق له البحث في

³² روبرت غوتفرد — الموت الاسود: الكوارث الطبيعية والبشرية في اوروبا القرون الوسطى. نيويورك: المطبعة الحرة، 1983م.

³³ جون دوفي — الذين يبدهم الشفاء: بروز المؤسسة الطبية. نيويورك: ماكرو هيل، 1976م.

الكيان الخالد للطبيعة التي خلقها الخالق سبحانه وتعالى . وكانت غاية الكنيسة من ذلك ، ربط المرضى بالطب الروحي الذي كان يمارسه الكهنة ويحصلون فيه على كمية غير قليلة من الاجور³⁴ . ولكن اكتشاف (لويس باستور) نظريته الجرثومية في القرن التاسع عشر ، ادى الى قلب نظرية الكنيسة النصرانية ، وتطور العلوم الطبية تدريجياً ووصولها الى ما وصلت اليه اليوم .

النظرية الطبية في القرآن الكريم

واستمر الانسان في حياته الاجتماعية منذ بداية الخليقة يتساءل ماذا أتناول من طعام حتى احافظ على حيويتي الجسمية ؟ وايهما أفضل لصحتي كثرة الطعام أم كفاية الغذاء ؟ ولو ترك الأمر للناس في اختيار نوعية الطعام على أساس انه شهوي أو على أساس انه نافع ، لاختار الناس الطعام الشهوي على الطعام النافع لأن الرغبة الشخصية للفرد هي التي تحدد نوعية الطعام الذي يأكل . فاذا أصبحت شهوة الفرد الحكم في اختيار الطعام أضحى الفرد عبداً لشهوته . ولا يختلف الحيوان في ذلك عن الانسان . فيخضع الحيوان لنفس المنهج المذكور لأن شهوته هي التي تحدد كمية الطعام التي يستهلكها حتى لو كان ذلك مضرًا لجسمه . فلا غرابة — اذن — ان يشبه القرآن الكريم بعض الافراد بالدواب: (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)³⁵ ، ولاشك ان وصفهم بالدواب هو وصفٌ لسلوكهم ، مع اهم بشر بالتأكيد . ولكن العلم الحديث والنظام الرأسمالي أخضعوا الحيوان لطعام مصنع يحتوي على نسبة محددة من الكاربوهيدرات والبروتينات والدهنيات ، حتى يستطيع المستثمر الذي يمتلك قطعاً من الاغنام مثلاً ، جني أقصى الأرباح عند بيعه تلك الحيوانات الصحيحة المتعافية ، على عكس النتيجة فيما لو باع الحيوانات المريضة ، أو الحيوانات التي تستهلك علفاً لا ينفع جسمها ، فتقل — عندئذٍ — الارباح التي يفترض جنيها من تلك الثروة الحيوانية.

ولكن هنا يبرز سؤال مهم ، وهو كيف يستطيع الانسان اختيار طعامه الصحيح وهو جاهل بمحتويات المواد الغذائية التي يتناولها ؟ وللجواب على هذا السؤال نقول ان للانسان طريقين ، وهما : اما ان يختار العلم التجريبي ليدليه على المواد الغذائية التي تنفع الجسم ، وهذا ما لم يحصل في تاريخ البشرية الا في القرن الاخير.

³⁴ البرت ليونز، وجوزيف بيتروسيلي — الطب : تأريخ مصور. سانت لويس: موزي- تاغز مرر، 1978م.

³⁵ سورة الانفال: الآية 22.

واما ان يفتش عن نظام غيبي يدلّيه على اسرار الوقاية والغذاء حتى يتجنب الامراض النازلة بالافراد . ولاشك ان النظام الغيبي الذي نقصده هو الاسلام ، حيث جاء بنظام وقائي ونظام غذائي في غاية الدقة والكمال . ولو ان المائة سنة الأخيرة التي بحث العلم التجريبي فيها عن اسرار الطعام ومحتويات المواد الغذائية وعلاقتها بصحة الانسان ، صرفت على أحكام الأطعمة والأشربة في الاسلام لدفعت العلم البشري اشواطاً عديدة الى الامام ، ولاستغنى العالم عن ملايين الاطنان من الأدوية والحقن والامصال التي اريد لها ان تشفي الأمراض ، ولكنها لم تحقق الشفاء التام لحد اليوم.

ولو استطرّد السائل الآنف الذكر مستفسراً عما يعمله الغذاء الجيد بجسم الانسان ؟ لأجبنه بأن الفرد الذي يتبع النظام الوقائي والغذائي الذي دعا اليه القرآن سيكون فرداً سليماً من الناحية الصحية . حيث ان المفترض — طبياً — ان يتمتع الفرد السليم بالصفات التالية :

1— ان ظهوره العام ظهور صحي مصحوب بمحيوية فائقة. وان تعبيرات الوجه، ووضوح العينين، وسرعة حركتهما ، وقوة ملاحظتهما ، تعكس الحالة الصحية الطبيعية لذلك الفرد.

2— تركيبة العظام تركيبية جيدة. فيلاحظ ان السواعد والسيقان مستقيمة ، وان الرأس والصدر والاسنان ذات بناء قوي في المادة واعتدال في الاتجاه.

3— ان عضلات الجسم قوية ونامية بشكل صحيح . ويظهر ذلك في القيام والجلوس والمشي ، والحركة الرياضية.

4— ان الانسجة الشحمية تحت الجلد تغطي العظام والعضلات بشكل كافٍ بحيث يكون مظهر جسم الانسان مظهرًا طبيعيًا.

5— ان وظائف الجسم تعمل بكفاءة . فيؤدي الجهاز الهضمي وظيفته في الهضم وامتصاص المواد الغذائية واخراج الفضلات . وكذلك الجهاز التنفسي . وان الفرد ينام باطمئنان ويستيقظ بنشاط.

وانسان بهذه الصفات يعتبر من الناحية الطبية كائنًا طبيعيًا وصحيًا . فالفرد لا يحتاج الى كمية كبيرة من الطعام حتى يكون قادرًا على تأدية دوره الحياتي . بل انه — اذا وضع الشهوة الجامحة بأكل اللذيذ من الطعام جانباً — يحتاج الى الاساسيات فقط حتى يستطيع القيام بدوره الفعال في الحياة الاجتماعية . فهو يحتاج الى

كمية كافية من البروتينات لاصلاح أنسجة الجسم ، وكمية كافية من المعادن والاملاح لتنمية العظام والاسنان ، وكمية كافية من الكربوهيدرات للطاقة ، وكمية كافية من الفيتامينات لاعطاء حيوية للاعصاب والدماغ وحفظ بقية الأنسجة ، وكمية قليلة من الدهون للحفاظ على ظاهر الجسم . وعندما يتم اكمال بناء الجسم في العشرينيات من عمر الانسان ، تصبح كثرة تناول الطعام من هذه المواد بمثابة حقن الجسم بالسموم . ولذلك فان الرسل (ص) والائمة (ع) كانوا يكتفون بالخبز والتمر واللبن احياناً في وجباتهم الغذائية لأن الخبز — وهو يحتوي على الكربوهيدرات — يمنح الجسم الطاقة ؛ والتمر — وهو يحتوي على سكر واملاح وفيتامينات — يحفظ حيوية الدماغ والاعصاب ؛ واللبن — وهو يحتوي على بروتينات وفيتامينات — يصلح الأنسجة ويحافظ على حيويتها . اما بقية الحبوب والفاكهة والخضار فقد ورد استحباب أكلها لأنها تحتوي على كل هذه المواد النافعة لجسم الانسان . وورد التأكيد على الاعتدال في أكل اللحوم . وهذه المواد الغذائية البسيطة ، هي الاساس في تقوية وتحريك الجسم ، وما عداها زائد ليست له قيمة حقيقية في بناء جسم الفرد صحياً.

1- النظام الوقائي:

ويعالج النظام الوقائي الحالة المرضية قبل وقوعها . فاذا كانت كثرة الطعام تسبب آلاماً في الجهاز الهضمي مثلاً ، فمن الوقاية ان يجتنب الفرد كثرة الأكل . وهذه القاعدة الصحية البسيطة لها تأثير فعال على صحة الأفراد ، لأن كمية الطعام ونوعيته مرتبطة بعدد كبير من الامراض التي تصيب الانسان . واذا نظرنا من وجهة نظر طبية ونفسية للتحريم الذي أوجبه الشارع على المأكولات تبين لنا ان للتحريم — اضافة الى معناه التعديدي — نتائج وقائية على مستوى عظيم من الأهمية . ويمكن ترتيب النقاط التالية حول النظام الوقائي في القرآن الكريم :

اولاً : لما كان الفم الطريق الرئيسي لدخول الطعام الى جسم الانسان حيث تجري عليه مختلف العمليات الكيميائية من هضم وامتصاص وتمثيل وبناء خلايا ، فان نوعية الطعام الداخل لا بد وان تؤثر على سير عمليات الجسم البيولوجية . ولاشك ان بعض المأكولات قد تسبب — بشكل مباشر أو غير مباشر — امراضاً تختلف شدتها وقوة تأثيرها على الأجهزة المختلفة التي تتضافر على تسيير دفعة حركة الجسم . وعلى ضوء ذلك فقد

نظم الاسلام نوعية المواد الغذائية المأكولة فحرم تناول لحوم الخنازير ، والدماء ، والميتة ، وما أهل لغير الله ، كما قال تعالى في كتابه الكريم : (قل لا أجد فيما أوحى الي محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولاعاد فان ربك غفور رحيم)³⁶ . وحرمت الكلاب والسباع³⁷ ، والمسوخ³⁸ ، والطيور المخلبية على تفصيل³⁹ . والحيوانات البحرية والاسماك التي ليس لها قشور⁴⁰ . وحرمت الخمرة — وهو مطلق ما يسكر — لقوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير)⁴¹ ، (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)⁴² ، (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق)⁴³ . والاثم — في عرف المفسرين — هو الخمر. و" تحريم الخمر من ضروريات الدين حتى ورد أنه أكبر الكبائر وانه لو صب في أصل شجرة ما أكل من ثمرها ، ولو وقع في بئر قد بنيت عليه منارة ما أذن عليها ، ونحو ذلك من الأخبار الدالة على المبالغة في تحريمها لكثرة مفسادها"⁴⁴ . وحرمت ايضاً كل الاعيان النجسة ، والسوائل المتنجسة ، وألبان الحيوانات المحرمة. والمدار في التحريم قاعدة (لا ضرر ولا ضرار في الاسلام)⁴⁵ ؛ بمعنى ان أي طعام ينزل ضرراً معتدلاً به على الفرد يجرم تناوله الا في حالة الاضرار ، كما ورد في قوله تعالى : (ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة)⁴⁶ .

ثانياً : ولم توقف الاسلام على تحديد الأطعمة المحرمة ، بل اشار الى حلية الأطعمة المباحة كلحوم البهائم الاهلية مثل البقر والغنم والماعز والابل ، ولحوم البهائم البرية كالغزلان والابقار والحمير المتوحشة ، كما ورد في قوله تعالى : (احلت لكم بهيمة الانعام)⁴⁷ ، (واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم)⁴⁸ . والاسماك ذات

³⁶ سورة الانعام: الآية 145.

³⁷ الكافي ج 6 ص 245.

³⁸ الخصال ج 2 ص 88.

³⁹ جواهر الكلام ج 36 ص 304.

⁴⁰ اللمعة الدمشقية للشهيد الاول ج 7 ص 300.

⁴¹ سورة البقرة: الآية 219.

⁴² سورة المائدة: الآية 9.

⁴³ سورة الاعراف: الآية 32.

⁴⁴ قلائد الدرر للشيخ الجزائري ص 300.

⁴⁵ من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 243.

⁴⁶ سورة البقرة: الآية 195.

⁴⁷ سورة المائدة: الآية 1.

القشور ويبيضها ، كما في قوله تعالى : (احل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة)⁴⁹ .والطيور بمختلف انواعها شرط ان لا تكون مخلبية ، وان يكون دفيها أكثر من صفيها ، وان تكون لها حواصل وقوانص وصيص : (قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه)⁵⁰ .ولما كانت اللحوم من أهم مصادر البروتينات التي لها علاقة عظيمة ببناء الخلايا الجسمية ، فان حليتها لابد ان يكون امراً حتمياً ، لأن الفرد يصعب عليه ان يحيا على النباتات فقط دون مصدر بروتيني غني كاللحوم . ولاشك ان حلبة تناول الخضار والثمار وكل ما ينفع الجسم الانساني من مواد غذائية ، واضحة ولاحتياج الى مزيد من التفصيل ، ولعل اطلاق الآية الكريمة التالية يشملها ، وهو قوله تعالى : (يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالاً طيباً...) ⁵¹ .

ثالثاً : الاعتدال في تناول الاطعمة المحللة ، وضرورة التركيز على نوعية الطعام لا كميته ، كما هو الظاهر من قوله تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)⁵² .وقد أوصت الروايات بتقليل كمية الاطعمة الداخلة الى جسم الانسان والاعتدال في تناول اللحوم ، وضرورة طبخها جيداً ، ويدل على ذلك قوله تعالى في ضيف ابراهيم : (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ)⁵³ ، أي مخلوذ وهو الذي اجيد طبخه ونضجه . وقال تعالى في وصف الطيبات : (وانزلنا عليكم المن والسلوى)⁵⁴ والمن هو العسل ، والسلوى يعني اللحم ، سمي سلوى لأنه يسلى به على جميع الادم ولايقوم غيره مقامه ، والى ذلك اشار رسول الله (ص) : (سيد الادم اللحم)⁵⁵ .ثم قال تعالى بعد ذكر المن والسلوى : (كلوا من طيبات ما رزقناكم)⁵⁶ ، فاعتبر اللحم والعسل من طيبات ما رزقهم .

48 سورة الحج: الآية 30.

49 سورة المائدة: الآية 96.

50 سورة المائدة: الآية 4.

51 سورة البقرة: الآية 168.

52 سورة الاعراف: الآية 31.

53 سورة هود: الآية 69.

54 سورة البقرة: الآية 57.

55 الكافي ج 6 ص 308.

56 سورة البقرة: الآية 57.

وقد وردت أهمية الخبز باعتباره اساس الوجبة الغذائية ، ومادته الكاربوهيدراتية هي التي تمنح الجسم الطاقة التي يتحرك بها . فعن رسول الله (ص) قال : (اللهم بارك لنا في الخبز ولا تفرق بيننا وبينه ، فلولاً الخبز ما صلينا ولاصمنا ولاأدينا فرائض ربنا) ⁵⁷. ووردت أيضاً أهمية الخضار المطبوخة ، والفاكهة وخصوصاً التمر، ومنتجات الالبان بكافة انواعها واشكالها . وكل هذه المواد الغذائية — اذا تناولها الفرد باعتدال — تساعد الجسم على القيام بوظائفه الطبيعية وتساوم في تنظيم الجهاز الهضمي وتنشيط الدورة الدموية وتجنب الفرد أمراض المعدة والامعاء وتصلب الشرايين وأمراض الكلى والجهاز البولي.

رابعاً : ان الاصل في القاعدة الوقائية الاسلامية ، ان كل ما يعد فعله في العرف الاجتماعي ضرراً فهو حرام . فالمخدرات الطبيعية والصناعية التي تسبب ضرراً جسيماً بعقل الانسان ، والسموم الطبيعية ، وما يقطع العلم بكونه سماً يجرم تناوله بأي شكل من الاشكال الا في حالة الضرورة.

خامساً : ان قاعدة الاضرار — وهي ان الضرورات تبيح المحظورات — تعتبر من أكمل القواعد الصحية التي استهدفت التيسير والسعة وعدم الضرر ونفي الحرج على الفرد المضطر . فقد أعلن الاسلام ان الاصل في احكام الشريعة هو اليسر والسعة وعدم الضرر ، لقوله تعالى : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ⁵⁸ ، (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ⁵⁹ ، (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) ⁶⁰ . والمشهور من قوله (ص) : (لا ضرر ولا ضرار في الاسلام) ⁶¹ . والرواية الواردة عن علي بن مهزيار عن الامام ابي الحسن العسكري (ع) قال : (... وكلما غلب الله عليه فهو أولى بالعدر) ⁶² .

والمضطر — حسب تعبير الفقهاء — هو "الذي يخاف التلف على نفسه لو لم يتناول المحرم أو يخشى حدوث المرض أو زيادته ، أو انه يؤدي الى الضعف والاهتيار ، أو يخاف الضرر والأذى على نفس اخرى محترمة ، كالحامل تخاف على حملها ، والمرضعة على رضيعها" ⁶³ . وقد اشتهر بين الفقهاء بأن (الضرورة تقدر

⁵⁷ الكافي ج 6 ص 287.

⁵⁸ سورة الحج: الآية 78.

⁵⁹ سورة البقرة: الآية 185.

⁶⁰ سورة الانعام: الآية 145.

⁶¹ من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 243.

⁶² من لا يحضره الفقيه ج 1 ص 120.

⁶³ المسالك للشهيد الثاني — باب الاطعمة والاشربة.

بقدرها) ويدل عليه قوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه)⁶⁴. ولاشك ان الخوف على تلف نفس الانسان أو زيادة المرض أو الخشية عليه من الضعف والانهيار ، هو الذي دعا الى تشريع هذه القاعدة العظيمة. ومعنى (ان الضرورة تقدر بقدرها) ، هو ان على الفرد وقت الاضطراب تناول المواد الغذائية المحرمة بشكل يؤدي الى اجتناب الضرر فقط ولا يتعدى الى مادون ذلك لأن الاصل في الاضطراب هو اصلاح الضرر أو الفساد المحتمل حدوثه على جسم الفرد ، وليس بناء الجسم على المادة الغذائية الفاسدة المحرمة شرعاً.

سادساً : ومن الواضح ان تأكيد الاسلام على السواك والتخلل ينسجم منطقياً مع دعوته الصحية في الوقاية من الأمراض ، خصوصاً فيما يتعلق بالفم كأمراض اللثة وتسوس الاسنان . ويمتاز خشب الاراك المنصوص على استحبابه في السواك ، باحتوائه على رائحة طيبة تطهر الفم من النكهة المتغيرة بالنوم أو بالطعام . وقد ورد عن رسول الله (ص) : (ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك)⁶⁵. وفي الرواية عن ابن عباس قال: (بت عند النبي « ص » فاستن). وقوله : "فاستن من الاستنان وهو الاستياك ، وهو ذلك الاسنان وحكها بما يجلوها . مأخوذ من السن وهو امرار الشيء الذي فيه خشونة على شيء آخر ومنه المسن الذي يشحذ به الحديد ونحوه"⁶⁶. ولاشك ان السواك والتخلل وتأثرهما على الاسنان واللثة يعتبران اساس طب الاسنان الوقائي الاسلامي وما عداهما اساس طب الاسنان العلاجي.

سابعاً : ومن المسلم به ان الأرق والقلق النفسي يعتبران في النظام الصحي الغربي مشكلة طبية تستدعي علاجاً يقوم على أساس الدواء الكيميائي⁶⁷. ولما كانت الحياة المبنية على التنافس الاقتصادي مصحوبة دائماً بالصراع النفسي والصخب والكدح المستند على حيازة أكبر قدر ممكن من المادة ، فان الأرق يصبح داء الفرد الرأسمالي ؛ لأن الاثارة التي تجلبها الحياة الرأسمالية لبعض الافراد تسلب عن أعينهم النوم . واذا أدخلنا عملية تطبيب النظام الاجتماعي التي يسعى النظام الصحي الغربي الى فرضها على المجتمع ، أصبح واضحاً لدينا ان الأرق في الحضارة الغربية يعتبر اليوم مرضاً توليه المؤسسة الطبية الغربية اهتماماً واسعاً ، وترغم ان علاجه لا يتم الا عن الطريق الكيميائي.

⁶⁴ سورة البقرة: الآية 173.

⁶⁵ المحاسن للبرقي ص 588.

⁶⁶ عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري للعيني الحنفي ج 1 ص 953.

⁶⁷ نافارو فايست - الطب تحت ظل الرأسمالية. نيويورك: بروديست، 1976م.

الا ان النوم وآدابه في الاسلام يعتبران شكلاً من اشكال التكامل النفسي الذي ينعم به الفرد في المجتمع الاسلامي ، كما يقول تعالى : (وجعلنا نومكم سباتاً ، وجعلنا الليل لباساً) ⁶⁸ .بالإضافة الى اطمئنان الفرد على حياته وعرضه وماله بسبب قانون العقوبات الاسلامي ، فان الاسلام يتحدث عن النوم باعتباره قضية من القضايا التعبدية . فالطهارة الشخصية وذكر الله تعتبران من أهم ميزات خلود الفرد للنوم ⁶⁹ ، دون الحاجة الى المواد الكيميائية التي يتناولها الفرد في الأنظمة الأخرى.

ثامناً : وتعتبر الطهارة المائية وغيرها من الطهارات — بالإضافة الى صورها التعبدية — من وسائل الوقاية الصحية ايضاً . حيث توجب الشريعة في الطهارة من الخبث ازالة البول والغائط والدم والمني بواسطة الماء المطلق — حكيمية كانت النجاسة أو عينية — كما يقول تعالى : (وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به) ⁷⁰ ، (وانزلنا من السماء ماءً طهوراً) ⁷¹ .وفي الطهارة من الحدث يجب الوضوء أو الغسل أو التيمم ، كما ورد في الذكر الحكيم فيما يخص الوضوء : (...فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق...) ⁷² ، (ولا جنباً الا عابري سبيل حتى تغتسلوا) ⁷³ ، (فاذا تطهروا فأتوهن من حيث أمركم الله) ⁷⁴ ، وفي التيمم : (فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) ⁷⁵ .وتعتبر الشمس من المطهرات ايضاً للأرض وما عليها . ولاشك ان تأكيد الاسلام على نظافة الشعر والأذنين والأنف والاسنان والاطافر ، وآداب دخول الحمام ونحوه ، والكثير من المستحبات الخاصة بالتنظيف تعتبر من أهم اشكال الطب الوقائي التي تجنب الفرد الكثير من الأمراض المنقولة في الأوساط التي تفتقد الى النظافة والتطهير . ولعل حثه تبارك وتعالى لرسوله الكريم (ص) في أوائل الدعوة بتطهير الثياب ، رمزاً لطهارة الفرد في الاسلام على الاصعدة الروحية والجسدية والمعنوية ، كما قال : (وثيابك فطهر والرجز فاهجر) ⁷⁶ .

⁶⁸ سورة النبأ: الآية 9- 10.

⁶⁹ من لا يحضره الفقيه ج 1 ص 123 ، ومصباح المتهدد ص 114.

⁷⁰ سورة الانفال: الآية 11.

⁷¹ سورة الفرقان: الآية 48.

⁷² سورة المائدة: الآية 6.

⁷³ سورة النساء: الآية 43.

⁷⁴ سورة البقرة: الآية 222.

⁷⁵ سورة المائدة: الآية 6.

⁷⁶ سورة المدثر: الآية 4-5.

تاسعاً : وبطبيعة الحال ، فإن صيام شهر كامل من أشهر السنة القمرية من طلوع الفجر وحتى الغروب يوماً يعتبر — بالاضافة الى صورته التعبدية — شكلاً من اشكال الطب الوقائي في معالجة الامراض المختصة بالجهاز الهضمي والدورة الدموية ، وشكلاً من أشكال الطب النفسي في الصبر وتقوية العزيمة والارادة . وقد وردت في ذلك جملة من الآيات القرآنية : (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام)⁷⁷ ، (وان تصوموا خيرٌ لكم)⁷⁸ ، (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)⁷⁹ ، (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل)⁸⁰. ويتضافر الشكل الطبي للصيام بالشكل الاجتماعي الذي يشجع الافراد على المؤازرة والمواخاة والتعاون على اطعام الآخرين ، فيضيف بعداً آخر للاطمئنان الاجتماعي بين الافراد في المجتمع الاسلامي .

2- النظام الغذائي:

ولايمكن المواظبة على العمل والانتاج وطلب العلم ما لم يقم الفرد باتباع نظام غذائي يبعث فيه كل ألوان الطاقة والنشاط والتفكير ، وعليه نبه رب العزة بقوله : (كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً)⁸¹ ، (كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون)⁸². ومع ان تناول الطعام في نفسه يعد امراً ضرورياً ، الا ان الاحاديث الواردة في أهمية تناوله ، أكدت جميعاً على ضرورة تقليل كمية المتناول منه ، وأشارت الى أهمية اقتصراره على الاساسيات التي تقوي صلب الفرد وتمنحه النشاط المطلوب . ومن أجل توضيح المنهج الاسلامي في التغذية ، لا بد من ترتيب النقاط التالية:

أولاً : وجوب التذكية الشرعية ، وهو دليل قوي على ارتباط حلية المأكولات اللحمية بالقضايا التعبدية من جهة والصحية من جهة اخرى لثبوت المصلحة الشرعية التي تخص الفرد والنظام الاجتماعي . فلا يؤكل من الحيوانات الا ما كان قابلاً للتذكية الشرعية ، فتتحقق تلك التذكية بالذبح للحيوانات الاهلية :

77 سورة البقرة: الآية 183.

78 سورة البقرة: الآية 184.

79 سورة البقرة: الآية 196.

80 سورة البقرة: الآية 187.

81 سورة المؤمنون: الآية 51.

82 سورة البقرة: الآية 172.

(ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق)⁸³ ، والصيد للحيوانات المتوحشة : (وإذا حللتم فاصطادوا)⁸⁴ ، والنحر للابل : (فصل لربك وانحر)⁸⁵ ، والاخراج حياً من الماء للاسماك : (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً)⁸⁶ ، (وما يستوي البحران هذا عذبٌ فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً)⁸⁷ .

ومن نافلة القول ان نقول : ان أخطر ما يواجه النظام الطبي اليوم من مشاكل صحية هي مشكلة اللحوم وما يتبعها من تذكية وحفظ وطهي ؛ فهي مصدر الكثير من الامراض المنتشرة في العالم المتحضر كأمراض القلب والدورة الدموية والجهاز الهضمي والبولي . ولاشك ان استبدال الاجهزة الحديثة في التبريد لحفظ اللحوم عن الطريقة القديمة السابقة التي كانت تستعمل التوابل ، لم يساعد على تقليل عدد الامراض التي تنتشر عادة عن طريق تناول تلك اللحوم ، بل غير من نوعها وشدتها فقط . فبدل تعرض الفرد للتسمم بتناوله لحماً متفسخاً — بالطريقة القديمة — أصبح نفس الفرد يتعرض لامراض القلب وتصلب الشرايين جراء تناوله لحماً محفوظاً في الاجهزة الحديثة.

وليس لدينا ادنى شك من ان مشكلة اللحوم ستبقى من أخطر المشاكل التي يواجهها النظام الطبي في تعامله مع اسباب نشوء المرض ؛ لأن الحيوانات بكافة اشكالها وأنواعها تعتبر من أهم عناصر نقل الامراض الى خلايا الجسم البشري . ولكن الانسان يصعب عليه الاستغناء عن اللحوم المطبوخة في وجباته الغذائية . ولعل الطريقة الاسلامية في التذكية الشرعية ، تعتبر من أنشط العوامل في تجنب الامراض الناشئة عن تناول اللحوم.

ثانياً : اشرنا عند حديثنا عن النظام الوقائي الى ان الاسلام تناول بأسهاب حلية الأطعمة المباحة . ونزيد هنا بذكر الآيات القرآنية الكريمة التي اشارت الى ذلك . ففي اللحوم قال تعالى : (والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون)⁸⁸ ، وفي الاسماك : (ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها)⁸⁹

⁸³ سورة الانعام: الآية 121.

⁸⁴ سورة المائدة: الآية 2.

⁸⁵ سورة الكوثر: الآية 2.

⁸⁶ سورة النحل: الآية 14.

⁸⁷ سورة فاطر: الآية 12.

⁸⁸ سورة النحل: الآية 5.

⁸⁹ سورة فاطر: الآية 12.

، وفي الفواكه : (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون)⁹⁰ ، وفي الحبوب : (كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حساده)⁹¹ ، وبالاجمال في أكل الطيبات : (يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالاً طيباً)⁹² .

ثالثاً : التأكيد على النظام الشفائي الغذائي المتمثل بالعسل ، وقد ورد في النص المجيد : (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراباً مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لاية لقوم يتفكرون)⁹³ . و"هنا فوائد منها ان في الآية دلالة على اباحة العسل واباحة التداوي به ، اما بنفسه واما مع التركيب مع غيره كالحمضيات ونحوها"⁹⁴ . وورد في الاثر انه "ما استشفى مريض بمثل العسل فان لعقة منه شفاء من كل داء. وكان يعجب رسول الله (ص) وأكله حكمة . قال تعالى : (فيه شفاء للناس)⁹⁵ 96 .

وبسبب احتوائه على نسبة كبيرة من الكلوكوز والفركتوز ، وهما نتاج آخر مراحل هضم المواد النشوية والسكرية التي تمتص في الدم ، فان العسل يعتبر طيباً من أفضل المواد الغذائية التي تساهم في شفاء الامراض الخاصة بالامعاء والمفاصل والعضلات ونحوها . ولما كان سكر الفاكهة (الفركتوز) أحد أهم نسب المواد السكرية في العسل ، أصبح تناول الفرد السليم أو المريض لهذا الغذاء القرآني امرأ شفايياً ، لأنه لايزيد من نسبة السكر في الدورة الدموية للانسان.

رابعاً : ان تأكيد الروايات على آداب الطعام وتناوله ، واخلاقية النظام الغذائي في الاسلام ، والافكار التي تحملها هذه الروايات مساندة تماماً لما جاء في القرآن الكريم . وأهمها التأكيد على آداب الشيء المأكول خصوصاً تقليل كمية الطعام الذي يتناوله الفرد ، واعتدال درجة حرارته وقت التناول ، وتقديم الملح على الطعام ، ومص الماء مصاً ، والاعتدال في أكل اللحوم المطبوخة جيداً ، والاهتمام بتناول الفاكهة والخضروات والخبز ومنتجات الالبان بكافة انواعها . وكذلك التأكيد على آداب المائدة — كاستحباب غسل اليدين قبل

⁹⁰ سورة المؤمنون: الآية 19 .

⁹¹ سورة الانعام: الآية 141 .

⁹² سورة البقرة: الآية 168 .

⁹³ سورة النحل: الآية 68-69 .

⁹⁴ قلائد الدرر ص 314 .

⁹⁵ سورة النحل: الآية 69 .

⁹⁶ الجواهر ج 36 ص 503 .

تناول الطعام وبعده ، والأكل بثلاث اصابع ، واطالة الجلوس على المائدة ، والمضغ الشديد ، وتصغير اللقمة المأكولة ، والأكل مجتمعاً مع الآخرين . واخيراً : التأكيد على آداب الأكل كاستحباب تناول الطعام وقت الاحساس بالجوع ، واكماله قبل الشبع ، وتفريغ البدن من الفضلات قبل النوم.

وهذا التأكيد الشديد على ضرورة التدقيق في نوعية المادة الغذائية التي يتناولها الفرد وآداب تناولها ، يؤدي — دون شك — الى تقليل عدد الامراض التي تصيب افراد المجتمع ، والى تبديل شكل وتوجهات المؤسسة الصحية . ومن أجل تفصيل ذلك ، نورد هذه الاشارات في فوائد النظام الغذائي الاسلامي :

1— ان تطبيق النظام الغذائي الاسلامي يساهم في تقليل عدد وشدة الامراض التي تصيب الافراد ، وهي الامراض الناتجة من سوء العادات الغذائية ، خصوصاً فيما يتعلق بالمضغ ، وحجم اللقمة ، والسرعة في تناول الوجبة الغذائية ، أو كمية الطعام المتناولة ونحوها.

2— ان اهتمام المؤسسة الطبية بنوعية الغذاء الذي يتناوله الافراد أنفع للنظام الاجتماعي — على الصعيد الانتاجي — وأكثر اقتصاداً من علاج الافراد عن طريق الأدوية والمعاجين الكيميائية المصنعة.

3— ان الاهتمام بالمواد الغذائية يشجع الاقتصاد الزراعي على النمو والتطور مما يفتح فرصاً اخرى لاشباع حاجات الافراد الغذائية ؛ فبدلاً من تطبيق النظام الاجتماعي كما هو الحاصل اليوم في النظام الغربي⁹⁷ ، يحاول النظام الاسلام تقوية صحة الافرد من خلال اتباع اسلوب غذائي سليم يتمثل في وجبات غذائية معتدلة كاملة يتناولها الافرد من سن الطفولة وحتى الشيخوخة والهرم.

4— ان تقليل كمية الطعام المستهلك من قبل الفرد سيوفر للافراد الآخرين طعاماً يشبع حاجاتهم الاساسية . فبدلاً من تخمة البعض وجوع البعض الآخر ، يحاول النظام الغذائي الاسلامي إشباع جميع الافراد بكمية معقولة من الطعام تساعد على العمل والانتاج ، وفي الوقت نفسه تحافظ على حيوية اجسامهم ونشاطها الطبيعي.

⁹⁷ صموئيل ايشتاين - سياسة السرطان. سان فرانسيسكو: كتب نادي سيرا، 1978م.

5— ان ارتباط العادات الغذائية بالجانب العبادي ، يهذب الفرد ويجعله أكثر استعداداً لاحترام النظام الصحي والتعاون مع المؤسسة الطبية لاجتاد نظام غذائي متكامل لجميع الافراد. والدافع الاساسي في هذا التوجه هو الدافع العبادي المتجسد بالامتثال للاوامر الشرعية.

3-النظام العلاجي:

ولاشك ان نجاح النظرية التجريبية في علاج الامراض يرجع فضله الى تراكم الخبرة الانسانية لآلاف السنين . فقد حاول الانسان — منذ القدم — معرفة فسلحة الجسم الانساني باعضائه الدقيقة ؛ والمعت في افق الطب التجريبي اسماء متميزة من مختلف شعوب العالم امثال : (هيوكراتيس) و(كيلن) الاغريقيين ، والرازي (ت 923 م) وابن سينا (ت 1037 م) الاسلاميين ، واطباء اوروبا امثال : (اندرياس فيساليوس) 1538 م ، (وليم هارفي) 1602 م . و(لويس پاستور) و(روبرت كوخ) 1876 م . وقد تطور الطب الحديث بعد اكتشاف النظرية الجرثومية ، وما اتبعها من اكتشاف اسباب المرض ، والعدوى ، واستخدام اساليب التعقيم ، والتخدير في العمليات الجراحية . وقد جلب القرن العشرون تطورين مهمين على صعيد الطب العلاجي ، وهما : استخدام المضادات الحيوية ، وعملية نقل الاعضاء ، من فرد لآخر كالكلى والقلب . ولاشك ان اكتشاف البنسلين كان من أهم الاكتشافات التي حصلت في هذا القرن ايضاً⁹⁸ . وكل الأدوية التي اكتشفت لاحقاً وساعدت اما على شفاء الامراض أو على اجراء العمليات الجراحية ، ساهمت في تطوير النظام الطبي العلاجي للامراض⁹⁹ . ولاشك ان الاسلام شجع الطب الحديث على معالجة الامراض لسببين: الاول : الارتكاز العقلائي الذي امضاه الشارع المقدس ، والثاني : احترام القرآن للحياة الانسانية ، كما ورد في اطلاق قوله تعالى : (ومن احيها فكأما احيا الناس جميعاً)¹⁰⁰ .

⁹⁸ البرت ليونز، وجوزيف بيتروسييلي - الطب: تاريخ مصور. تايمز مرر، 1978م.

⁹⁹ مارك زيبورويسكي - الناس في ألم. سان فرانسيسكو: جوسي باس، 1969م.

¹⁰⁰ سورة المائدة: الآية 32.

النظام الصحي في الإسلام

ان الاسلام يحثه على العمل ، ومباركته للجهد الانساني ، وربطه العمل الانتاجي في الارض بالشواب والأجر في الحياة الآخرة ، أراد لكل الافراد في النظام الاجتماعي اداء أدوارهم المرسومة بكل جدية ونشاط ؛ لأن الانسانية لايمكن ان يتكامل نظامها الاجتماعي ولا أن يتطور بناؤها الفكري والفلسفي ، مالم يساهم الافراد جميعاً بالعمل الانتاجي المؤدي الى اشباع حاجاتهم الاساسية . ونزول المرض بفرد ما ، يعطل جهده الطبيعي في تأدية الدور الاجتماعي المناط به ؛ مما يؤدي الى تحرك النظام الاجتماعي للتعامل مع ذلك الاستثناء حتى يتم اصلاحه وعلاجه طبيياً واجتماعياً.

فاذا كان المرض مؤقتاً ويمكن علاجه بالطرق الطبية المعروفة ، خلد المريض الى الراحة ، وتدخل النظام الاجتماعي الاسلامي لمساعدته على ثلاثة محاور ؛ المحور الاول : العلاج ، فيقدم له كل اسباب التطبيب والعلاج دون النظر لدخله السنوي أو طبقته الاجتماعية . والمحور الثاني : المساعدة المادية له ولعائلته اذا كان فقيراً ، فيحتسب مقدار حاجته وحاجة عائلته ، فيدفع له ذلك المقدار حتى يحين وقت الشفاء . والمحور الثالث : تدخل النظام الاجتماعي لسد دور المريض الشاغر في الحقل العملي . فاذا كان المريض عاملاً في مؤسسة صناعية ، فان المؤسسة ملزمة باستئجار عامل آخر يحل محل العامل المريض ، وهذا يتم عادة في الامراض التي يستلزم علاجها فترة زمنية قصيرة كالانفلونزا والجروح والكسور وامراض الجهاز الهضمي والبولي.

اما اذا كان المرض مزمناً ، كالشلل التام ، وامراض السرطان ، وامراض نقص المناعة الحادة ، والامراض القلبية ، فان النظام الاجتماعي ملزم بالتدخل ايضاً لمساعدة المريض طبيياً ومالياً وايجاد من يسد دور المريض الشاغر في الحقل الاجتماعي بصورة دائمية . ولايختلف تدخل النظام الاجتماعي في المرض المزمن عن المرض المؤقت الا بفارق الزمن ، حيث يتعين على ذلك النظام تخصيص معاش ثابت للمريض ولعائلته يفترض ان يستقطع من بيت المال — كما في الرواية المروية عن الامام امير المؤمنين (ع) مع الشيخ النصراني — وتعيين برنامج علاجي مستمر للمريض . بل ينبغي ان يستمر هذا المعاش والعلاج حتى آخر لحظة من حياة ذلك المريض . وهذا على خلاف رأي النظرية الرأسمالية التي تعتبر المريض عنصراً مستهلكاً لاقدرة له على الانتاج¹⁰¹ . ولكن نظرة الاسلام الشمولية واحترامها للحياة الانسانية أوجبت اكرام الانسان المعاق جسدياً ، حتى لو كان عاجزاً عن الانتاج ؛ وقد ورد في الروايات المروية عن اهل البيت (ع) ان الامام علي (ع) عندما

¹⁰¹ البوت فريدسون — المهنة الطبية. نيويورك: دود وميد، 1970م.

صادف النصراي — المذكور آنفاً — والذي كان يمد يده استجداءً لعدم قدرته على العمل ولكبر سنه ، تألم لحالته وانكر على عماله سلوكهم تجاهه وقال لهم : (استعملتموه ، حتى اذا كبر وعجز منعموه) ، وأمر ان يصرف له من بين المال¹⁰² .

ويجعل الاسلام الولاية الشرعية ، مصدر المسؤوليات الاجتماعية . فولي الاسرة مسؤول عن رعاية من يتولاهم من القاصرين ونحوهم . وفي انعدام الولي يتحمل الامام أو نائبه (أي الدولة) مسؤولية الولاية لمن لا ولي له . وعليه ، فان القاصر عن التحصيل لمرض ونحوه يضمن اما من قبل الولي العام أو الولي الخاص . بمعنى ان الانسان القادر على الانتاج يستطيع ان يسد حاجته الاساسية وحاجة الافراد الذين يتولاهم اصحاء كانوا أم مرضى . واذا عجز الولي بسبب المرض عن اعاشة عائلته ، وجب — حينئذٍ — على الامام اعالتهم لحد الكفاية ، وهذا الاسلوب يضمن تكامل النظام المعيشي لكل الافراد في المجتمع الاسلامي . وقد جاء هذا الايمان بكرامة الفرد وصيانتته من الاهمال ضمن اطار المسؤولية الجماعية والاخوة الانسانية التي دعا اليها الاسلام.

ولاريب ان تأكيد الاسلام على ربط العمل الانتاجي في الحياة الدنيوية بالثواب الاخروي ، وحثه على التزام الصدق والثقة المتبادلة والاعتدال ونهيه عن الكذب وشهادة الزور والجشع ، وجزمه في تثبيت أسس العدالة الاجتماعية سهل دور المؤسسة الصحية في تحديد (من هو المريض ؟) . فمع تضافر هذه العوامل ، تجد من الصعوبة بمكان ان يجد المتمارضون ساحة لكسلهم ومجالاً لعيشهم عبثاً على بيت المال ؛ لأن المؤسسة الصحية تستطيع تحديد (من هو المريض؟) عن طريق علامات واعراض المرض ، وعن طريق دراسة شخصية وتاريخ المريض والتزامه بالاخلاق الدينية وتمسكه بالصدق والنزاهة والاستعفاف.

ان امراض الحضارة الحديثة يفترض ان لا تجد لها مكاناً في المجتمع الاسلامي ، لأن الاسلام حرم شرب الخمر وأكل الميتة والدم والخنزير ، وهذه هي اساس امراض الكبد والجهاز الهضمي وامراض القلب . وحرم تناول كل ما يضر بالجسد ومنها استعمال المخدرات والتدخين الشديد التي هي المصدر الاساس في امراض سرطان الرئة والبلعوم والاضطراب العقلي . وأوصى بالاعتدال بأكل اللحوم الحمراء ، خصوصاً لحوم البقر والضأن وهذه هي مصدر أمراض القلب وتصلب الشرايين . وأوصى باستعمال المسواك لتنظيف الاسنان وتطهير الفم ، وهو تمهيد لممارسة طب الانسان الوقائي . ولاشك ان للدولة الاسلامية مبدأ حق التدخل للحفاظ على البيئة الطبيعية من التلوث الصناعي ، لأن التلوث يعتبر أحد مصادر امراض السرطان وامراض

¹⁰² تهذيب الاحكام ج 2 ص 88.

الرئة بأنواعهما المختلفة . وحرمة الاسلام الاجهاض والانتحار وقتل النفس البريئة فأكفى الطب الدخول في هذا الحقل الذي يستترف طاقات المؤسسة الصحية . وأوجب الاسلام التذكية الشرعية ووضع شروطاً للصيد والذبابة ، وهذا الوجوب جنب النظام الصحي العديد من الامراض المتعلقة بالقلب وجريان الدورة الدموية . ولا ريب ان الاطمئنان النفسي والراحة الشعورية التي يترها النظام الاسلامي على قلوب الأفراد من حيث محور نسبة الجرائم والاعتداءات والسرققات ، يساهم بشكل فعال في ازالة الأرق والقلق النفسي والقرحة والامراض العقلية التي يعاني منها أفراد الحضارة الحديثة.

ومن نافلة القول ان نذكر : ان صحة المتقدمين وتعميرهم تلك السنين الطويلة لم يكن نتيجة لمعاينة طبية أو نتيجة فهم للنظرية الجرثومية أو استخدام للعقاقير الطبية ؛ بل ان الوقاية وتنظيم النظام الغذائي كانتا من أهم اسباب العيش السليم من الأمراض . وقد ورد في بعض الكتب التاريخية ان سلمان الفارسي (رض) عاش أكثر من ثلثمائة سنة . ولو صحت هذه الرواية لكان الاجدر بالجهاز الطبي دراسة هذه الظاهرة الطبيعية وفهم منشأها واسبابها.

ولا يمكننا الاعتماد على العلاج الكيميائي والشعاعي في جميع الحالات المرضية ، بل لابد ان نترك فسحة لتقدم العلاج الطبيعي والروحي ، لأن الكثير من الأمراض النفسية والأمراض الجسدية الناشئة عنها لا يتم علاجها الا بالعلاج الغيبي . وقد ورد في النص المجيد الى ما يشير الى ذلك : (وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمة للمؤمنين)¹⁰³ ، (أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاءً)¹⁰⁴ ، (واذا مرضت فهو يشفين)¹⁰⁵ والعلاج الطبيعي مهم في شفاء الجروح العضلية والغضروفية . ولما كان الاسلام ولا يزال يهاجم النظام الطبقي ويدعو الى توزيع عادل للثروة الاجتماعية ، فان النظام الصحي الاسلامي سيجعل الانشطة الطبية جميعاً أنشطة يهتمها العلاج الحقيقي للأفراد ، لا تجارة تجني ارباحاً على حساب الفقراء والمستضعفين . ولا تتوقف وظيفة الطب على تحديد (من هو المريض؟) بل تتعدى الى قاعدة المحافظة على صحة الافراد عموماً ، حتى يستطيع النظام الاجتماعي تنشيط منهجه الاقتصادي في الانتاج وعدالة التوزيع . وبطبيعة الحال ، فان المؤسسة الصحية الاسلامية مسؤولة عن صحة الافراد في المجتمع الاسلامي على مستويين ؛ المستوى الاول : تثقيف افراد المجتمع تثقيفاً عاماً فيما يتعلق بفهم منشأ وسبب الامراض ، والتركيز على نظامي الوقاية

¹⁰³ سورة الاسراء: الآية 82.

¹⁰⁴ سورة فصلت: الآية 44.

¹⁰⁵ سورة الشعراء: الآية 80.

والغذاء في تنمية الجسم البشري ، حيث يتم ذلك من خلال النشر والاعلام والتبليغ الفردي والجماعي. والمستوى الثاني : معالجة الافراد معالجة فردية في الظروف الطبيعية ، ومعالجة جماعية في الظروف الاستثنائية؛ ومن ذلك توفير الحقن المضادة للأوبئة المعدية ، وتنقية مياه الشرب من الجراثيم ، والسيطرة على أنظمة المجاري العامة، والتدقيق في الفحص الصحي للاسواق ومراكز بيع اللحوم والمواد الغذائية الاخرى والمطاعم والفنادق، والسيطرة على الكائنات الناقلة للجراثيم كالذباب والبعوض والقمل.

وبطبيعة الحال ، فان المؤسسة الطبية تساهم بشكل حاسم في تنظيم الحالة الاجتماعية من حيث منح شهادات الميلاد والوفيات حتى يتم توزيع الثروة الاجتماعية بشكل عادل . وتساعد على فصل التخصص في الارث والحقوق بين الافراد من خلال تشخيص الجينات الوراثية . وكذلك تساعد في السيطرة على الامراض، واثبات أحقية المعوقين باستلام المساعدات المالية، ودراسة الساحة الصحية الميدانية حتى يتم تحديد الطاقة الانتاجية للنظام الاجتماعي الاسلامي . ولذلك ، فان المؤسسة الطبية تعتبر ركناً هاماً من أركان النظام الاجتماعي والديني والاخلاقي ايضاً.

ولما كانت المنافسة الاقتصادية في الاسلام مرتبطة بالمعنى العبادي وبمفهوم تعمير الأرض — على خلاف المبدأ الرأسمالي الذي أقحم المؤسسة الطبية في المعركة الاقتصادية فأفقدتها مفهومها الانساني — أصبحت الرعاية البدنية مرتبطة بالثواب والعقاب ايضاً ؛ لأنها من الضروريات التي يحتاجها الفرد بالخصوص ، والنظام الاجتماعي عموماً . ولاشك ان الدولة مكلفة بسد هذه الحاجة الاساسية من شتى المصادر المتوفرة لها ، حتى تقوي في الفرد روح الانتاج والعبادة ، وحتى تبعد النظام الصحي عن المنافسة الاقتصادية الرأسمالية وما تجر معها من ويلات ومظالم بحق الفقراء.

ولاشك ان مناداة الاسلام — ايضاً — بالعدالة الاجتماعية وتضييق الفوارق الطبقيه بين الافراد ، سيساهم في ازالة الامراض العقلية وغير العقلية بين الفقراء . فيشترك الفقراء — حينئذٍ — مع أقرانهم في ادارة النظام الاجتماعي . وكذلك فان مشاركة الطبقة الفقيرة في رفق المؤسسة الصحية بالاطباء في النظام الاسلامي سيخفف من حدة الفوارق الطبقيه بين الافراد.

العلاقة بين الطبيب والمريض

وتستند العلاقة بين الطبيب وكل ما يمثله من منتجات دوائية وأجهزة طبية ورأي شخصي من جهة، وبين المريض وما يمثله من قوة شرائية من جهة أخرى، إلى النظام الاخلاقي الاسلامي ، الذي يرتكز على ثلاثة عناصر مهمة هي : الخبرة ، والثقة ، والاستعفاف عن المال . فالخبرة الطبية علامة حاسمة في تعريف الطبيب وتشخيصه عن غيره من الخبراء كالصيادلة والمرضين والكيميائيين . والثقة عنصر مهم في التعامل الطبي ؛ وتعني هنا صدق الطبيب في تشخيص المرض . اما الاستعفاف فهو الاطار العام الذي يبلور شخصية الطبيب الاخلاقية ويمنحها فهماً وشفافيةً في التعامل مع المرض والموت ؛ بمعنى ان دور الطبيب ينبغي ان يفهم على انه يمثل رسالة رحمة لعلاج امراض الناس ، وليس تجارة يتصيد بها الحالات الاستثنائية لتجميع الثروة على حساب الآخرين . وليس غريباً ان يقوم القرآن مقام الطبيب في علاج امراض الناس الروحية ، كما قال عز وجل : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)¹⁰⁶ ، (قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور)¹⁰⁷ ، (أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء)¹⁰⁸ . وما الفارق بين الطبيب والمريض في المجتمع الاسلامي الا في امتلاك الخبرة وعدمها . فالطبيب خبير ، والمريض فرد يبحث عن استثمار تلك الخبرة لتصحيح وضعه الصحي .

ولما كان الطبيب مسؤولاً عن ربط الاعراض المرضية التي يظهرها المريض باسم طبي معروف ، فان دوره كخبير يتجاوز مجرد وضع العلاج الطبي ، ويذهب الى حد التدخل بشؤونه العبادية الشخصية كقضايا الطهارة مثل الوضوء والغسل ، وقضايا التعبد مثل اقامة الصلاة وتأدية الصيام ، والتدخل بشؤون الافراد مثل تصرفات المريض الذي يؤدي به مرضه الى الوفاة ، وما يترتب عليها من احكام تجاه الهبة والشركة والوصية . فالطبيب هو الذي يحدد المرض المتصل بالموت فيترتب على حكمه احكام تصرفات المريض . وقد يمنع الطبيب مريضه من الصوم ، ولكن يجيزه على الغسل للصلاة الواجبة . وقد ينهاه عن السفر بقصد الحج ولكن يجيزه على الصيام . وقد يحكم على ان مرضه ليس متصلاً بالوفاة . وفي هذه الحالات يتصرف الطبيب من وحي واجبه الشرعي كخبير ، فيتجاوز بذلك الدور الذي وضعته له المؤسسة الصحية الى الدور الذي وضعه له الدين .

¹⁰⁶ سورة الاسراء: الآية 82.

¹⁰⁷ سورة يونس: الآية 57.

¹⁰⁸ سورة فصلت: الآية 44.

وخبير له هذا الدور الخطير يجب ان يكون على اعلى مستويات الثقة حتى يطمئن الناس الى ممارسة اعمالهم العبادية ، حينما يتعلق الامر وينحصر بخبرته الطبية .

ويتدخل الطبيب في شؤون المريض الخاصة، فله الحق في سؤال المريض حول أدق شؤونه الحياتية ، وواجب الطبيب هنا ان يحفظ للمريض ثقته به ، فلا يتعدى في السؤال الى ما يضر بمصلحة المريض أو ما يشبع شهوة الطبيب من معلومات . والمدار في كل ذلك هو الاطار الاخلاقي الاسلامي الذي يدعو الى الاعتدال وحصر الاستفسار بما يتعلق بالحالة المرضية.

وينبغي على النظام الاجتماعي الاسلامي تقسيم الطب ومؤسسته الى قسمين : قسم يتعلق بالنساء وامراضهن، من ولادة وحمل، وأمومة وطفولة . وقسم آخر يتعلق بالرجال وامراضهم. فالقسم النسائي يتحمل مسؤولية الاشراف عليه والعمل فيه النساء من طبيبات وممرضات ومديرات ، وينبغي تخصيص أجنحة أو مستشفيات خاصة بالامراض النسائية ، محددة بدخول النساء الخبيرات في الطب والتمريض . وفي هذا ، تشجيع للمرأة على تأدية دورها الاجتماعي في التطبيب والعلاج ، وتخفيف عن عبء الرجل في علاج النساء ، خصوصاً في الامراض النسائية.

وإذا أرادت المؤسسة الطبية تقليص الفجوة الواسعة بين الطبيب كخبير وبين المريض كفرد من عامة الناس، فما عليها الا ان ترفع مستوى الافراد علمياً في القراءة والكتابة وفهم اسباب نشوء الامراض ؛ وذلك عن طريق نشر الموسوعات الطبية الميسرة بين الناس ، واذاعة المعلومات الطبية المبسطة التي لا تضر بعمل الطبيب أو اختصاصه . ولا بد ان يدرك الطبيب ، ان تبسيطه المعلومات الطبية للمرضى لا يقلل من قيمته العلمية او المهنية ، بل ان ذلك يضيف احتراماً وتقديراً لعمله . فالطبيب المتواضع الذي يحاول بذل جهده في تبسيط المعلومات الطبية لمرضاه يساهم بشكل من الاشكال في تقليل آثار الالم والمعاناة التي يمر بها المريض ، ويساهم ايضاً في رفع المستوى العلمي والثقافي على مستوى افراد الامة الاسلامية جميعاً.

أهل الخبرة الطبية

ودفعاً للمشاكل التي يواجهها المجتمع في تمييز الطبيب القادر على العلاج من بين المشعوذين والمتحلين للصفات الطبية ، فان المؤسسة الطبية مكلفة بحصر تعليم الطب في الكليات والجامعات الطبية ، التي يحدد

مستواها وكمية المعلومات الواجب تدريسها اكثر الخبراء علماً وتجربة في العلوم الطبية . ولاشك ان هذه العلوم متغيرة بتغير البحوث التجريبية ، ولذلك فان اي تطور في هذه العلوم يجب ان ينعكس على المواد المنهجية التي تدرس في هذه الكليات . ولابد من التأكيد على الجانب القرآني والفقهية الطبي في المنهج الدراسي بقسميه الغذائي والوقائي ، ودراسة آثار المحرمات كالخمر والدم والميتة والختير والمسوخ ، وآثار التدخين والمخدرات وتلويث البيئة ، وآثار كثرة تناول اللحوم الحمراء وشحومها ، واحكام الصيد والتذكية الشرعية ، واستحباب السواك والتخليل . وهذه الموارد كلها تساهم بشكل فعال في تحليل اسباب نشوء امراض الحضارة الحديثة . ولاشك ان فكرة الوقاية — التي تجنب المجتمع الاسلامي العديد من الامراض التي ابتلي بها صانعو تلك الحضارة ومناصروها — يجب ان تحتل موقعا متميزا في المواد التدريسية.

ولابد في تقييم العمل الطبي — قضائياً — من اشتراك الحاكم الشرعي ، والبيئة ، والقرائن الموضوعية . فأذا اخطأ الطبيب في علاج المريض ، وثبت الخطأ شرعاً ، ألزمه القاضي الشرعي العادل بالضمان . ولابد في نفس الوقت من تصميم نظام خاص — ضمن النظام القضائي — يحفظ فيه حق المريض اذا اصابه الخطأ ، ويحفظ سمعة المهنة الطبية ، ويقيم العدل بين افراد النظام الاجتماعي في هذا الحقل بالخصوص.

وقد تتولى الدولة تحديد اجور الطبيب ، حتى لا يتجاوز الحد الشرعي فيكون مدعاة انشاء طبقة رأسمالية جديدة في مجتمع يرفض الظلم الاجتماعي . ومع ان تحديد الاجر يتم على ضوء نوعية العمل المنجز ، الا ان رفع اجور العمل الطبي بشكل يؤدي الى تكديس المال في طرف وحرمان طرف آخر منه لا يمثل اي شكل من اشكال العدالة الاجتماعية . وامام هذه المشكلة يقف الاسلام موقف الحكم . فالهدف من المهنة الطبية — كما يؤكد الاسلام — ليس جمع المال وكسب القوة السياسية والاجتماعية ، بل الخدمة الانسانية . وعليه فان اجر الطبيب ينبغي ان يتناسب مع نوعية ذلك العمل وكمية تلك الجهود المبذولة ولكن بشكل لا يسبب حرماناً للفقراء والمعدمين . وعلى ضوء ذلك تحدد الدولة اجور الطبيب في المعاينة والعمليات الجراحية ، وتحدد اجور بقية العاملين في الحقل الطبي.

ولاريب ان رأي اهل الخبرة الطبية حاسم في فصل القضايا القانونية امثال تشخيص الاضطراب العقلي بنوعية الادوار والمطبق ، وتقرير عجز الفرد عن القيام بالعمل الانتاجي ، وتحديد مقدار الجروح او الكسور في الديات . بل لا يستطيع احد انكار اهمية دور الطب الجنائي في الكشف عن اسباب الجريمة ومنشأها . ومع ان هذه العوامل تشكل مادة الحسم في الحكم الصادر ضد المتخصصين في الامور القضائية ، الا ان وظيفة

الطبيب تبقى مقيدة بحدود تقديم الخبرة الطبية ، ويقتى للقاضي اصدار الحكم الشرعي على طرفي النزاع بالاستناد على المصادر الشرعية والقضائية.

ولما كان الطب يتعامل مع الانسان تعاملأ مباشراً ، فان الخطأ الذي يقع سيسبب للمريض اضراراً بالغة. ولذلك ، فان الطبيب لابد وان يتحمل جزءاً من المسؤولية في ضمان ما يتلفه بالعلاج . فقد اتفق فقهاء الامامية — باستثناء ابن ادريس — ان الطبيب يضمن لو مات المريض بسبب العلاج . وينطبق نظام الدييات في تلف النفس والاطراف على ذلك . ولما كان الضامن في الخطأ المحض عاقلة الحايي، فان الضامن في الفعل الشبيه بالعمد ، الفاعل — وهو الطبيب نفسه — " لحصول التلف المستند الى فعله، ولايطل دم امرئ مسلم ، ولانه قاصد الى الفعل مخطئ في القصد . فكان فعله شبيه عمد ، وان احتاط واجتهد واذن المريض" ¹⁰⁹ .

فلسفة الطب في النظريات الغربية ونقدها

ولاشك ان للنظام الاجتماعي الانساني مصلحة حقيقية في انشاء نظام صحي متكامل لعلاج الامراض وللحفاظ على نظافة المجتمع من الاوبئة والامراض المعدية ، حتى يتم استثمار طاقات العمال الاصحاء بطريقة يكون مردودها الانتاجي متناسباً مع حجم قابليات ذلك النظام . وعلى هذا الاساس فان من مصلحة النظام الاجتماعي مثلاً ، تحديد : (من هو المريض؟) ، ومن مصلحة النظام الاجتماعي ايضاً معرفة من يصطنع المرض كي يجد مخرجاً يهرب فيه من اداء الواجبات الاجتماعية المناطة به.

وهذه الفكرة دعت (تالكوت بارستر) ، وهو احد رواد النظرية التوفيقية ، الى القول بان المرض ليس ظاهرة بيولوجية فحسب ، بل انه ظاهرة اجتماعية ايضاً ¹¹⁰ . فالمجتمع الانساني لايتطور تطوراً طبيعياً ما لم يقوم الافراد جميعاً باداء ادوارهم الاجتماعية في كل الاوقات . فاذا تعرض احدهم لمرض من الامراض اصبح دوره الاجتماعي شاغراً لانه لايستطيع القيام بتأدية ذلك الدور المناط به اجتماعياً . والنتيجة ، اما ان يحال ذلك الدور الى فرد سليم من الناحية الصحية ، واما ان يبقى شاغراً دون شاغل يشغله . وهذا التبديل في الادوار الاجتماعية يسلط ضغطاً ويولد ارباكاً ضد الحركة الطبيعية للنظام الاجتماعي . وبما ان المرض عامل اجتماعي

¹⁰⁹ شرح اللمعة ج 1 ص 108 .

¹¹⁰ تالكوت بارسنز — بحوث في النظرية الاجتماعية. نيويورك: المطبعة الحرة، 1954م.

سليبي على الانسان ، فان نزوله بعضو من اعضاء النظام الاجتماعي يضع ذلك المجتمع وجهاً لوجه امام مسؤولياته في التعامل مع ذلك المريض . ولذلك فان الجهة التي تحدد المرض يجب ان تتمتع بشرعية قانونية يقرها النظام الاجتماعي ، حتى تستطيع تعويض الخسارة الاجتماعية التي يجلبها المرض على الفرد والعائلة والنظام الاقتصادي والاجتماعي بشكل عام.

ولكن هذه النظرية لاتخلو من مفارقات واخطاء ، فهي تصب جل اهتمامها على الامراض غير المزمنة كالانفلونزا وامراض الجهاز الهضمي والبولي ؛ وهذه امراض يتم علاجها في فترة قصيرة نسبياً ، ولكنها تحمل امراضاً مزمنة يصعب علاجها بفترة قصيرة كأمرض تضخم الانسجة (السرطان) ، وامراض نقص المناعة الحاد ، والامراض المؤدية الى فشل القلب في تأدية نشاطه الطبيعي ؛ حيث لايستطيع المريض في هذه الحالات المزمنة ايجاد شفاء عاجل لمرضه . وازدياد عدد الامراض المزمنة يؤدي الى استهلاك موارد النظام الاجتماعي ، بشكل لا يرتضيه النظام الرأسمالي لنفسه ؛ لان الفكرة الرأسمالية تستند بالاصل على الربح والخسارة . وأية خسارة تتجاوز الخطوط المرسومة لايحتملها النظام الاجتماعي.

أضف الى ذلك ان نظرية (تالكوت بارسنز) تركز على الطب العلاجي وتحمل فرضية الوقاية التي اشار الى بعض مواردها القرآن المجيد ، كما تناولنا ذلك في النظام الوقائي في الاسلام . ونضيف ثالثاً ، بان المجتمع الرأسمالي لو امتثل للمقولة المأثورة (الوقاية خيرٌ من العلاج) لانقاذ حياة الملايين من الافراد الذين يموتون بسبب مخالفتهم هذه القاعدة الصحية . ففي العقد الاخير من القرن العشرين يموت في الولايات المتحدة بسبب عادة سيئة واحدة يمكن الوقاية منها — وهي التدخين وما يترتب عليها من امراض ، كسرطان الرئة والفم والبلعوم — اكثر من 350 الف فرد سنوياً¹¹¹ . ويكلف هؤلاء النظام الصحي الأمريكي ، من ادوية وعناية طبية قبل موتهم مبلغاً يقدر باكثر من عشرين بليون دولار¹¹² . ولكن لو طبق نظام الوقاية لوفر على ذلك المجتمع هذا المبلغ الكبير من المال ، وأرجع قسماً من هؤلاء الى اعمالهم وانتاجهم.

اما نظرية الصراع الاجتماعي ، فانها اعتبرت المعافاة الصحية مصدراً من مصادر القوة الاجتماعية التي اهتم بها الرأسماليون¹¹³ . ولما كان المجتمع الرأسمالي مبنياً على المنافسة الاقتصادية ، فان المنافسة للسيطرة على النظام

¹¹¹ وليام كوكراهام — علم الاجتماع الطبي. نيوجرسي: برنتس هول، 1986م.

¹¹² ديفيد ميكانيك — قراءات في علم الاجتماع الطبي. نيويورك: المطبعة الحرة، 1980م.

¹¹³ هاورد ويتكن — المرض الثاني: تناقضات العناية الصحية الرأسمالية. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1986م.

الصحي تحمل معها كل معاني المنافسة الاقتصادية ، لان النظام الصحي يدر على الطبقة الرأسمالية مقداراً هائلاً من الثروة ؛ ناهيك عن اندماج قادة النظام الصحي في العملية الرأسمالية ، وخصوصاً عمليات الاستثمار وما يصحبها من قدرة على تحويل القوة الاقتصادية الى قوة سياسية . واذا كان توزيع الثروة في المجتمع الرأسمالي محصوراً في الطبقة الرأسمالية القوية ، فان النظام الصحي — بكل ما يجلبه من خيارات سيكون حتماً — في قبضة اليد الرأسمالية ؛ لان هذا النظام الصحي يمثل الطرف المنتصر في عملية الصراع الاجتماعي.

ولكن النظرية تتجاهل دور المؤسسة الصحية في التعامل مع الامراض على مستوى جميع الطبقات الاجتماعية . فتلك المؤسسة هي التي تقوم بتلقيح جميع الافراد بالقاحات الطبية قبل انتشار الاوبئة ، وهي التي تقوم بتنظيم قوانين الصحة العامة كتعقيم الحليب ضد الجراثيم ، وتنقية مياه الشرب ، وفحص الطعام المطبوخ في المطاعم العامة ، والسيطرة على الحشرات الناقلة للامراض كالبعوض والذباب والقمل . وهذه الانشطة الصحية لا تختص بطبقة دون اخرى بل تشمل كل الطبقات الاجتماعية الفقيرة والغنية.

وفي ختام هذا الفصل لا بد ان نؤكد على فشل النظريات الغربية في التعامل مع المرض والنظام الحياتي والاجتماعي للفرد . ولا يبقى لنا لمعالجة هذا الامر الا النظرية القرآنية التي تتعامل مع جسم الانسان عن طريقي الوقاية والغذاء ، فنقول :

ان التقدم العلمي المعاصر في الطب ، لم يقلل عدد الامراض التي يعاني منها المجتمع الغربي الرأسمالي ؛ حتى ان (النظرية الجرثومية) التي أجمرت العالم في القرن التاسع عشر لم يعد لها رصيد امام امراض الحضارة الرأسمالية الحديثة مثل السرطان ، وامراض القلب ، وانتفاخ الرئة ، والشلل ، وامراض نقص المناعة المكتسبة . بل أصبح النظام الصحي الرأسمالي بكل تقدمه العلمي الجبار عاجزاً عن علاج هذه الامراض الحديثة لان هذه الامراض الخطيرة التي يعاني منها الفرد الغربي تقاوم وتتحدى الطب الحديث بكل قواه ومؤسساته وإمكانياته الكبيرة . وعلاج امراض السرطان والقلب والقرحة تكلف مالياً اوفر ، وتتطلب وقتاً اطول . ومن المؤكد ان امراض الحضارة الحديثة تبقى ما بقيت الحضارة الرأسمالية تستثمر الارض بشكل جنوبي لاعتصار اقصى قدر ممكن من الخيرات . فمصانع الحديد والصلب والكيميائيات ومصانع الذرة تلوث البيئة الانسانية ، مسببة امراضاً بشرية لم يعرف لها الانسان القديم اسماً ولا شكلاً . بل ان هذه الحضارة جلبت للانسانية امراضاً واوجاعاً لم تأت بما اية حضارة انسانية اخرى على مر التاريخ.

ان امراض القلب — مثلاً — تعتبر من امراض الحضارة الحديثة . وسببها ؛ اولاً : كثرة تناول اللحوم الحمراء وهي لحوم الغنم والبقر والخنزير الحاوية على نسبة عالية من الشحوم الحيوانية ؛ وثانياً : ان شره الافراد في المجتمع الرأسمالي لتناول هذه اللحوم لا يحدها حد طبي او قانوني ، لان اختيار الطعام مسألة متعلقة بالحرية الشخصية ، التي هي اساس المبدأ الرأسمالي . فلا يحق لأية جهة طبية التدخل قانونياً لتنظيم حرية الافراد الشخصية . ولذلك فان امراض القلب التي تؤدي الى الوفاة ، تعتبر من أكثر الامراض انتشاراً في الولايات المتحدة في القرن العشرين¹¹⁴. ولكن آية قرآنية واحدة تستطيع ان تقضي على هذه المشكلة الصحية الخطيرة بكل بساطة . هذه الآية تدعو الى الاعتدال في الاكل والشرب وبضمنها الاعتدال في أكل اللحوم ، فتقول : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)¹¹⁵. وكل من يشذ عن هذه القاعدة يدخل في متهاتات الادمان والاضطراب الصحي التي تؤدي الى الموت.

والخلاصة ، ان المؤسسة الطبية الرأسمالية تساعد على تخفيف آلام العديد من الامراض ، ولكنها لاتستطيع محو نتائجها المتوقعة التي تؤدي في النهاية الى الوفاة . ولانشك ان الطبقة الرأسمالية المتحكمة تعلم ان الوقاية وتحسين نوعية الغذاء أسلم وأرخص الطرق لتكامل المجتمع الانساني صحياً : الا انها لاتريد تغيير نظامها الصحي ، لان الوقاية وتحسين نوعية الغذاء لاتدر عليها ارباحاً هائلة كما يدرها النظام الصحي القائم اليوم . اضف الى ذلك ان انصار الفكرة الرأسمالية متمسكون بالمبدأ الرأسمالي الذي يترك للفرد حرية تقرير المصير — فيما يتعلق باشباع الشهوات الفردية — حتى لو كانت اضرار ممارسة تلك الشهوات — طبيياً — واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .

¹¹⁴ ري ايلنك — دراسة قومية حول الانظمة الصحية. نيوجرسي: الكتب التجارية، 1980م.

¹¹⁵ سورة الاعراف: الآية 31.